

الرسالة

مجلة اسبو… …لوم والفنون

السنة السادسة

العدد ٢٥٠

6 me Année, No . 250

Lundi - 18 - 4 - 1938

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٢٥٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ صفر سنة ١٣٥٧ — ١٨ ابريل سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

شركة تنشيف الريق !.

للأستاذ عبد العزيز البشرى

أكثرت الصحف فى هـذه الأيام من ذكر مقابلات لحضرة صاحب المعالى وزير الأشغال ، خاصة بتخفيض ثمن المياه فى القاهرة ، كما تردد خبر اجتماعات اللجنة المؤلفة لهذا الغرض من قديم الزمان ، وسالف العصر والأوان ! . ولقد زعم لي زاعم من المؤرخين أصحاب الإحصاء أن اجتماعها الأخير كان الاجتماع الـ ٤١١ ، ٠٣٢ ، ٦٢٤ ، ٨٥٣ ، ٤٧١ ! .

فتري هل آن أن ينجح المسعى ، وتحط الشركة من أثمان الماء ، فقد مضي على سكان القاهرة ستون عاماً ، وستون عاماً غير قليل ، وهم يغصون بماء النيل . وكأن الشاعر كان ينظر بلحظ الغيب إلى القاهريّين ومايعانون من شركة المياه حين قال :

نفرّ إلى الشراب إذا غصصنا   فكيف إذا غصصنا بالشراب؟

ترى هل ينجح السعى هذه المرة ويحق لساكن القاهرة أن يتمثل بقول الشاعر :

فساغ لى الشراب وكنت قبلاً   أكاد أغص بالماء الفرات ؟

الفهـــرس

يا قومنا : أقسم لكم بالله تعالى ، غير حانث ولا آثم ، إن الشركة ليست تأتينا بالماء من إڤيان ، ولا من إكس ليبان ، ولا من ڤيشي ولا من بلاد اليابان حتى يُلتمس لها العذر ، بنفقات النقل فى البر والبحر ، وأجور الحزم واللفّ والتعبئة والصفّ ، والتأمين خوف الغرق والحريق ، وما عسى أن يدركه من العطب فى أثناء الطريق . وناهيكم بحساب ما قد يكسد فى الأسواق منه ، وما قد يبور فى المتاجر بانصراف (الهواة) عنه . ومن يدرى فلربما ظهرت (ماركة) ماء جديدة . (موديل سنة ١٩٣٨ أو ١٩٣٩) ، فيها من المزايا ما ليس فى هذا الماء ، فى ريّ العطاش وبلّ صدَى الظّماء !

ليست تجيء بشيء من هذا حتى تغلو هذا الغلوّ فى الأسعار ، توقّياً للنفقات وتوقياً للخسار . إنما تدفع إلينا الماء من نيلنا الذي يشقّ مدينتنا ، والذى يجرى بين أيدينا ، والذى طالما طغى وزاد ، حتى أغرق البلاد ، وأهلك العباد ، وأتى على اليابسة والخضراء ، وألقى بربّان الحذور إلى متن العَراء . بل إن من يرى متدفقه في دمياط أو فى رشيد ، ليحسب أنه ماض لريّ العالم القديم والعالم الجديد . وتراه يغذوا فى شمالنا وجنوبنا ألف ترعة ، فإذا جاز بنا ضيقت الشركة ذرعه ، وباعتنا ماءه (بالشربة) والجرعة ! حتي أصبحنا ، ونحن نغدو على حافتيه ونروح ، نتناشد قول الشاعر :

يا سرحة المـاء قد سُدّت موارده
أما إليك طريق غير مسدود ؟

***

حقاً يا سيدتى الشركة ، لقد سامتنا (عداواتك) رهقاً وعذابا ، وجرّعتنا من نيلنا علقماً وصابا ، وكان من قبل سكراً مذابا ، وكان شهدًا وجُلاّبا ، لقد ساغ ورداً وحلا شرابا ! .

***

حقا ، يا سيدتى الشركة ، إنك لتروّقين الماء ولكنك تعكّرين النفوس ، وتملأين الآنية ولكنك تخلين الجيوب حتى من الفلوس !

***

يا سبحان الله ، يا شركة ! تعطيننا الماء وتقتضين الذهب ، ولو كان مالنا نيلا لجفّ يا شركةُ من كثرة النزع ونضب !

إرحمينا ، يا شركة ، واعملى معنا بالمثل الذى قالته العامة من قديم الزمان : « المية ما تفوتشى على عطشان » !!!

وبعد ، فعندى ، يا سيدتى الشركة ، أكثر من هذا ، ولكن :

فى فمى ماء وهل ينـــطق من فى فيه ماء

***

ونرجع إلى سياقة الحديث فنقول : أفآن لوزارة الأشغال أن تنجز الوعود ، ولشركة المياه أن تعدل عن دلّها المعهود ، فترفق فى ثمن المـاء ، وتخفّف عن كواهلنا ما يهدّدها من الأعباء ، فقد اعترانا الداء من ناحية الدواء . ولله در شاعر الغبراء :

من غصّ داوى بشرب المـاء غصته
فكيف حال الذى قد غصّ بالمـاء ؟

فإن فعلت وإلا فقد طابت الهجرة إلى البرارى والقفار ، لنتعوّض عن ماء النيل ماء الآبار والأمطار . وإني لأخشى أن تلاحقنا الشركة هناك ، وتبسط علينا سوط (الاشتراك) ، بعد أن تحوز ماء الغمام فى مواسير ، وتحتم بالعداد على كل بير . فالشركة وراءنا ولو تعلقنا بالسحاب ، أو تدسّسنا فى التراب ، وأمرنا إلى من له المرجع والمآب !

***

أرجو أن تنصفينا ، يا شركة المياه ، وتفرّجى عنا من هذا الضـيق ، وإلا اضطررنا إلى أن ندعوك « شركة تنشيف الريق » ... والسلام

عبد العزيز البشرى

قضية اللغة العربية

للأستاذ أحمد خاكى

يرى الكاتب أن اللغة ينبغي أن تكون لغة معان قبل أن تكون لغة ألفاظ . وأن تعليمها ينبغي أن يرمي إلى ثلاثة أغراض : أولها التدريب العقلي ، وثانيها الخبرة الحسية أو الجمالية ، وثالثها الوجهة النفعية . وهو يبحث فى بعض وسائل تعليم اللغة العربية وينقدها فى هذا المقال

١ — أصول نفسية لتعليم اللغات

إذا نحن عالجنا الوسائل التى تكفل إدراك الغايات من تعلم اللغة العربية ، وجدنا أنها شعبة من الخطط العامة التى ترسمها المربون وعلماء النفس فى العصر الحديث . ويسيطر على التربية فى هذا العصر مدرستان متكافئتان من مدارس الفكر : أولاهما يتزعمها فرويد ، وثانيتهما كان زعيمها بافلوف

ويذهب الأولون إلى أن النفس جماع الغرائز والميول الفطرية ، وهذه تأتلف فى أحيان وتختلف فى أحيان أخرى . ولقد اتجهت التربية فى هذا العصر وجهة من يحاول أن ينشئ تلك الميول سواء أكان ذلك بالاستعلاء بها أم بالتهدّى إليها . وقامت فلسفة التربية على أساس من تلك الغرائز المتوافقة المتناكرة ، بل لقد كان فتحاً جديداً فى التربية أن أصبح الطفل موضع العناية عند المربين . ولعل روسو وأضرابه من فلاسفة القرن الثامن عشر كانوا أول من نادي بتربية الطفل كطفل ، وأول من هيأ السبيل للعلماء المحدثين . على أن تلك المسألة قد اختلجت بين الفلسفة والأدب خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، حتى قام فرويد يؤصل أصولها النفسية فى السنوات القليلة الماضية . وهنا ظهرت فى التربية مبادئ الحرية التي تحاول أن تساير ميول الطفل وغرائزه ، وذهب المربون يصطنعون وسائل التعليم على هدى تلك المبادئ الحديثة ، فأفلحوا في اصطناع الكثير منها فيما يتصل بكل فروع المعرفة ومنها اللغات .

والطفل عند هؤلاء عامل كبير فى تربية نفسه ، فليس هو جهازاً مستقبلا ، وليس موقفه سلبياً محضاً ، وليس ينعم بتلك القابلية التى تستوعب أيّ شئ وكل شئ من غير أن يكون له من نفسه سلطان على ما يعلم وما يعمل ، وإنما نفسية الطفل عندهم فعالة مؤثرة ، فهو تتنازعه الهواجس والعواطف والميول . وعلينا نحن أن نبسط له من العلوم ما يترواه وينعم به . أما وسائلنا نخيرها ماساير ميول الطفل حتى يدفعه الشوق إلى الاستزادة من ألوان المعرفة ، وحتى يصبح تعليمه داخلياً فعالاً لا خارجياً لا يكاد يتدسّى إلى الصميم

وإلى جانب تلك المدرسة النفسية الغامرة ظهرت مدرسة أخرى تؤمن بالغرائز وبالميول أيضاً ، لكنها تؤمن فوق كل ذلك بما يسمونه الأفعال المنعكسة reflex actions وتلك مدرسة العالم النفسي بافلوف ؛ فلا يذهب هؤلاء فى تقدير الغرائز مثل ما يذهب أصحاب فرويد ولا يمعنون فى تقديرها مثلما يمعن الأولون ، وإنما يضعونها جنباً إلى جنب مع الأفعال المنعكسة التى يستطيع أن يكسبها الطفل ، ويؤمن هؤلاء بأن الغرائز والميول قابلة للتعديل عند الإنسان وأنه قد يكسب نوعاً خاصاً من المهارة إذا هو وضع تحت مؤثر دائم متكرر . فالتقليد والتكرار والمراجعة كل أولئك جديرة بأن ترشد المتعلم إلى إحسان المهارات وهى جديرة بأن تكون أساساً ثابتاً لعلوم كسب المهارة

ومدرسة بافلوف ومدرسة فرويد كلتاهما على حق . وهما فى ذاتهما تمثلان وجهتى نظر مختلفتين لكنهما متكاملتان . أما الأولى فهي تمثل الحرية فى التربية ، وأما الثانية فهى تمثل النظام . الأولى تعترف بملكات الطفل وقواه ، والثانية تحاول أن تشيع نظاماً خاصاً يأتلف تلك الملكات ، والأولى تسمح للطفل بأن ينمى كل ما وهب من مدارك ، والثانية تربط تلك المدارك بعضها ببعض حتى تصبح موثوقة الأجزاء مرتبطة الأطراف

والآراء النفسية التى يذهب إليها الفريقان تخلق دستوراً بأكمله نجتلى فيه أحسن الوسائل لتعليم اللغات ، فاللغة من ناحية ينبغى لها أن ترتبط بالميول والغرائز التى تجتمع لدى الطفل . وينبغى أن تكون مادتها بحيث تهز مشاعره وتحرك أعطاف قلبه ، وهى من ناحية أخرى إحدى المهارات التى يكسبها الأطفال كأى فعل منعكس آخر ، ولن يتأتى ذلك حتى يكون إحسانها نتيجة لمؤثر أو باعث شديد دائم متكرر . من هذين الوجهين ينبغى لنا أن نثبت الوسائل التى تكفل إدراك الغايات من تعلم العربية . وسنرى فى نقد وسائل التعليم الحاضرة أنها بعيدة كل البعد عن ميول التلاميذ من جهة ، وأنها لا تقوم على بواعث شديدة متكررة من

جهة أخرى ، وأن تعليمها عندنا لن يستقيم حتى نداول بين هذين الوجهين من وجوه التربية الحديثة

٢ – طرق التعليم

تتصل طرق تعليم اللغات إذن بميول الانسان وغرائزه . وقد بحث المربون أقرب تلك الميول وأكثرها مواتاة فوجدوا أن اللعب يجلوها ، واتخذه كثير من المربين وسيلة من وسائل التعليم ، واللعب بمعناه النفسى فيض من النشاط الذى يغمر نفس الطفل ، وهو أشد أثراً فيها من العمل . فالعمل يفرض فرضاً لكن اللعب بادرة من وحى النفس ، وللعمل غرض قد يكون نفعياً يفسد النشاط ويخبث النفس ، ولكن اللعب لا يعرف لنفسه حدوداً ، ولا ينقلب شراً إلا إذا أصبح عبثاً غير محمود . وفي اللعب تتنشط قوى الأطفال بأكملها وتتوافى مداركهم ، واللعب فى المدرسة الحديثة وسيلة للعمل فاذا أفلح معلمو اللغات فى اتخاذه وسيلة لتعليمها حققوا ما ذهب إليه علماء النفس وربطوا اللغة بالميول الفطرية ربطاً محكما لا انفصام له

ولعل القصة أول أنواع اللعب التى نستعين بها فى تعليم اللغة . وعند الطفل ميل طبيعى للتمثيل . ولسنا نقصد بالتمثيل ذلك النوع المسرحى الذى يحسنه الممثلون ، وإنما نقصد ما يميل إليه الأطفال من إحلال أنفسهم محل بطل القصة أو بطلتها . وأنت إذا بحثت عقيدة الطفل – بل إذا تعمقت عقائدنا الأدبية – وجدت أنها خليط من الحقيقة والخيال . ففى القصة يتمثل القارئ أو السامع نفسه فى الشخصية الروائية التى يميل إليها . فالبطل ينقذ فتاة ، والبطل يقود أمة نحو المجد ، والبطل كثير الحيطة أيد شجاع ، وخلال القصة تعلو عقيدة الطفل حتى ليحسب الخيال واقعاً ، وحتى ليتداخله الزهو فيخال نفسه بطلا . ذلك عندنا نوع اللعب الذى يدفع بالناشئين إلى القراءة ، فهو يستغرق تفكيرهم ، وهو يستهلك جهدهم . وهو بعد ذلك دعامة لا تتزابل من دعامات اللغة

ولسنا ندري من الملوم على حالة الكساد التي قضت على أدب الطفولة عندنا ، لكنا نرى عند الطفل الانجليزى آلافاً من الكتب الجميلة التى تزخر بالصور والرسوم . والطفل الانجليزى يمتع فى صباه بما يرى وبما يقرأ ، وهو يندفع وراء القراءة بوحى نفسه ، لأن كل هذه الكتب تصادف هواه ، لكن الطفل المصرى محدود الاختيار . فالمدرسة لا تعترف بما يقرأه فى الخارج مهما بلغت عنايته بالقراءة ، وهو لا يجد إلا قليلاً من القصص المترجم إذا شاء أن يقرأ ، وإنه ليصرفه عن القراءة تبرم بعض المدرسين بالقصة ووصفها بأنها نوع من أنواع العبث . هذا على أنه لا يجد « مكتبة » من القصص ، لأن وزارة المعارف هى التى تحكم مصائر الأمور فى التعليم ، ولأن وزارة المعارف لم تتضمن مركزيتها الاعتراف بالقصة أداة للتعليم فى العربية ، ولو أنها اعترفت بها أداة للتعليم فى الانجليزية منذ زمن بعيد

عالج المسترمان Mann خبير التربية هذه المشكلة فى تقريره عندما تحدث عن الفرق بين لغة الحديث ولغة الكتابة فى مصر . وعنده أنه لن ترقي لغة الكتابة فى مصر ولن ينقص الفرق بينها وبين لغة الحديث حتي تخلق أدباً قائماً للأطفال يتضمن مادة جذابة توافق عقل الطفل . وينبغى لكتب الطفولة فى رأيه « أن تحتوى تلك القصص ذات اللون الخاص التى تتمثل فى أدب كل شعب من الشعوب » . والحق أن العربية ذات أدب شعبي تمثله كتب كألف ليلة وليلة . لكن ألف ليلة وليلة طبع بالانجليزية مئات المرات فى أشكال وأحجام جميلة مختلفة ، وقد بلغ من عنايتنا الضئيلة بمثل هذا الكتاب أننا بدأنا الآن فقط بترجمة ترجماته الانجليزية إلى العربية . ومثل هذا يقال فى القصص الأخرى التى انتقلت فى عصر النهضة من الشرق إلى الغرب

ولقد يطول الحديث بنا إذا نحن استرسلنا فى الكتابة عن تقصيرنا فى خلق أدب الطفولة . وحسبنا أن نقول إن وزارة المعارف هى الهيئة الوحيدة التى تستطيع أن تخلق مثل هذا الأدب . وما دامت المركزية أصلاً من أصول إدارة التعليم عندنا فوزارة المعارف هى التى تستطيع أن تنتخب مدرسين وكاتبين تحبسهم على عمل مثل هذا . ولا غناء عندنا فى جهود فردية محمودة يقوم بها الفينة بعد الفينة أفراد متحمسون

***

والتمثيل المسرحى نفسه وسيلة تكفل حرص الأطفال على تعلم اللغة . ولسنا نقصد بذلك أن يكون له – كما له اليوم – إدارة خاصة مركزية . ولا أن يكون قاصراً على بضعة أفراد من التلاميذ يمثلون فصلاً أو فصلين فى العام لأن ذلك قد ساير المدارس الثانوية عندنا منذ نشأتها إلا أنه لم يفد اللغة إلا قليلاً . وإنما نقصد بالتمثيل المسرحى أن يكون لكل مدرس اتجاه خاص يحبب إلى تلاميذه

ممارسة التمثيل . فإذا هو أمدهم بالقصص المسرحية العربية وعاونهم على تمثيلها من غير مسرح ولا ستائر كان فى ذلك إدراك للغرض من تعلم اللغة ، وكان فيه رياضة جمالية سامية . وخيال الطفولة ضمين بأن ينشىء مسرحاً خيالياً، وكفيل بأن يسير بالقصة إلى حد كبير من الإتقان

والتمثيل راسخ كوسيلة من وسائل تعليم اللغة لأنه يقوم على التقليد ؛ والتقليد ميل غريزى هو الأساس الأول لدروس كسب المهارة . فإذا اتخذنا التمثيل ذريعة لتعليم اللغة أوفينا على الغاية مما نرمى إليه من تعليم العربية ؛ وأدركنا فى نفس الوقت غرضنا الحسى أو الجمالى الذى أسلفنا الحديث عنه

ومثل ذلك فكرة الموسيقى والأناشيد وإلقاء الشعر والخطب عند الأطفال . والذى قلناه عن التمثيل ينطبق جميعه على كل هؤلاء ؛ وليس يكفينا فى هذه المرة أيضاً أن تكون هناك إدارة مركزية للموسيقى تلقن عدداً من الأطفال بضعة أناشيد كل عام ، بل الذى يعنينا أن تكون الأناشيد والموسيقى من بين الكفايات التى يحسنها المدرسون حتى يوفقوا بينها وبين دروس العربية ، وحتى يتخذوها مُعيناً على إحسان التوقيع وإتقان الخطابة ، والسيطرة على مخارج الحروف والكلام . دع عنك ما تراه الطفولة فى كل ذلك من الترفيه ، وما تجده من الدواعى إلى الاستزادة من معين اللغة

فإذا درج الطفل إلى الصبا بعد ذلك كان فى الأدب مجال واسع لتحبيب اللغة إليه . والأدب الذى ندعو إلى دراسته هو الأدب الذى لا يقف جامداً عند سير الشعراء والأدباء ، ولا يتغير بعصور السياسة ، ولا تنقطع بصاحبه الأسباب دون تذوق الجمال . والناشئ الذى قضى أيام الطفولة فى جو خيالى من القصص والغناء والتمثيل خليق به أن يصل ذلك بالأدب الموروث ، وأن يتأتى لأدب الرجال بما يزخر من شعر سام وبما يحتوى من نثر علمى منتظم

ينبغى أن يكون من أغراض الأدب أن نحيط المتعلم علماً بما ازدانت به اللغة من جمال ، وأن نروض الفتيان على أسرار القول المتسق . والعبث بعينه أن نحاول تحفيظهم أين ومتى مات الأدباء والمتفننون . والعبث بعينه أن نفرض عليهم استذكار سير الأدباء وما اتصف به شعر كل منهم من جزالة اللفظ ، وما يترقرق فى كلامهم من رقة المعنى ولطف الروح ، وألا يكون ذلك إلا كلاماً يرددونه كالببغاوات ابتغاء النجاح فى الامتحان . بل الخير كل الخير أن ندفع بهم فى غمار المأثور من الأدب نعلمهم الأصول ونزكيهم فى نفس الشعر ونفس القصص ونفس المقامات حتى يخلق كل واحد منهم لنفسه مزاجاً أدبياً أو فنياً خاصاً فيما يتصل بشئون اللغة والأدب

ولعلنا نستطيع بعد الذى أسلفنا من وصف الاتجاه الحديث فى تعليم اللغات أن نلمس موطن العلة فى أساليبنا الحاضرة . وبين الذى فصلناه وبين الذى يقع الآن اختلاف عريض ليس من سبيل إلى تلافيه حتى تتكثر الجهود بعد الجهود ، وحتى تقوم مدرسة من مدارس الفكر لتخلق جواً آخر غير الذى تعيش فيه اللغة . وقد تحدرت فى أصول التعليم عندنا تقاليد ما زالت تنكر على الطفل حياته الوجدانية الخاصة ، فلم يقم إلا القليل بمثون القصص التى توائم الطفولة . ولم يدرك أحد بعدُ العلاقة بين اللعب الحر وبين اللغة ، ولا نحسب أننا فى حالة نتوقع فيها أن نقيم العلاقة بين اللغة وبين الموسيقى والغناء ، فإن هذا أمل غير قريب التحقيق

على أن الذى نراه قريب التحقيق هو شىء واحد ينتظم كل ما ذكرنا . فإن المعلمين يخلطون دائماً بين الوسيلة وبين الغاية . ويؤمنون بأن الذى اتخذوه وسيلة إنما هو غاية فى نفسه . فقد اتخذ المعلمون الأقدمون النحو وعلوم البلاغة وسائل لتقويم اللسان وسلامة المعنى ، ويتخذها المعلمون المحدثون غايات فى نفسها يعقدون فيها أعسر الامتحانات . ولو أنهم علموا أن إحسان القول وإتقان القراءة والكتابة هى نفسها الغايات لتغيرت نظم التعليم عندنا ولنهيأ جو صالح يتحول فيه تعليم اللغات إلى المرتبة التى تنبغى

* * *

ولشد ما يعجب المرء حينما يمر بنظرة عجلى على الكتب التى يدرسها تلاميذ المدارس الثانوية فى مختلف الفرق . وأشهد أنى لأتردد كثيراً أن أعقد موازنة بين الكتب العربية التى يدرسونها والكتب الانجليزية . ولعلك تدرك قليلا من مثل هذا التردد إذا علمت أن التلميذ فى السنة الأولى يقرأ حوالى أربعمائة صفحة من الانجليزية وهو يقرأ مثل هذا القدر فى السنة الثانية ، ويزيد على الخمسمائة فى الثالثة ثم يربى على الستمائة فى الرابعة . أما إذا سألتنى ماذا يقرأ هؤلاء فى العربية أجبتك بأن التلميذ لا يقرأ نصف هذا

الحبشة تهدد مصر

بمنع زيادة النيل سنة ٨٤٧

لأستاذ جليل

المفاوضات والمخاوضات[١] بين (الحليفة) بريطانية ! و(الجارة) إيطالية ! « يا جارتا ما أنت جارة[٢] ! » — بعثتني على أن أنشر فى (الرسالة) الغراء هذه الكلمة ذات العنوان تبصرة وذكرى

* * *

قال شاعرنا شوقي :

فمصر الرياض ، وسودانها عيون الرياض وخلجانها
وما هو ماء ولكنه وريد الحياة وشريانها
تتمم مصر ينابيعه كما تمم العين إنسانها
وأهلوه منذ جرى عذبه عشيرة مصر وجيرانها[٣]

إذا لم يعتقد المصرى أن السودان مصر وأن مصر السودان ، وإذا لم يؤمن بوحدة وجودها

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرته أبصرتني وإذا أبصرتني أبصرتنا[٤]

* * *

(١) تخاوضوا : تفاوضوا ، وبينهما مفاوضة ومخاوضة ، وخاوضه فى البيع : عارضه ، وخاوضه فى الماء (الأساس ، التاج) . والمعضلة هي فى الدأماء ... البحر

(٢) (جارتا) ياء المتكلم قلبت ألفاً (ما) تعجبية مبتدأ (أنت) الخبر (جارة) تمييز . يتعجب من حسن جوارها عادا إياها من أهل البيت ... لا جارة مجاورة فقط ...

(٣) من قصيدة ختامها :
ودعوى القوى كدعوى السباع من الناب والظفر برهانها

(٤) قيل : للحلاج

إذا تبدّي حبيبي بأى عين أراه ؟
بعينه لا بعيني فما يراه سواه[١]

فإن المصرى إذا لم يعتقد ذلك الاعتقاد ، ويؤمن بتلك (الوحدة) إيمانه بالله ورسوله وقرآنه فهو كافر حقٌ كافرٍ بالمصرية .

وما أريد فى هذ الكلمة أن أثبت أن الكون حقيقة وليس بوهم ، وأن شمساً فى السماء تطلع علينا كل يوم ، فإن البديهيات اليقينيات هن بديهيات يقينيات

وليس يصح فى الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل[٢]

وبعد فهذا خبر فى كتاب (التبر المسبوك) للعلامة (السخاوى) فى الصفحة (٧٠) فى رسالة من (النجاشى) ملك الحبشة إلى الملك الظاهر (جقمق) ملك مصر المعظم فى سنة (٨٤٧) أرويه ليتلوه المصرى متبصراً فيه ، مفكراً فى بعد مراميه .

قال النجاشى متهدداً متوعداً :

« وليس يخفى عليكم ولا على سلطانكم أن بحر النيل ينجرُّ إليكم من بلادنا ، ولنا الاستطاعة على أن نمنع الزيادة التى تروى بها بلادكم عن المشى إليكم ، لأن لنا بلاداً نفتح لها أماكن فوقانية يتصرف فيها إلى أماكن أخر قبل أن يجيء إليكم ، ولا يمنعنا عن ذلك إلا تقوى الله تعالى . وقد عرضنا على مسامعكم ما ينبغى إعلامه ، فاعملوا أنتم بما يلزمكم »

هذا كتاب النجاشى ، وهو لا يحتاج إلى تفسير ولا هامش ولا تعليق . وإنه ليدمغ باطل ألف مقالة ومقالة — مثل ألف ليلة وليلة — ينمقها ويلفقها سوفسطائى[٣] منحط فى هوى العدو « أكل من حلوائهم ، فانحط فى أهوائهم » ليبرهن أن الإنسان مالكَ الماء ، متمدناً (أوربياً) لن يقتل أخاه الإنسان — وإن ناكره[٤] وخاصمه — بالعطش[٥]

« * »

(١) محي الدين بن عربى

(٢) المتنبى

(٣) فى (المحصل) : السوفسطائية الذين قدحوا فى الحسيات والبديهيات . وفى (التعريفات) : السفسطة قياس مركب من الوهميات والغرض منه تغليط الخصم وإسكاته

(٤) ناكره : حاربه

(٥) إشارة إلى صحف كانت تهون أمر السودان وبتره وتقول مثل هذا القول

القدر فى فرقته . ويا لضياع مجهود البلاغة والنحو لو لم يستعن بعض هؤلاء التلاميذ بالمجلات وبروايات الجيب ثم بعد ذلك بالأدب الرخيص

ولنا حديث آخر عن تعليم النحو والقواعد ، واتصال ذلك بفكرة الأفعال المنعكسة نرجو أن نزجيه إليك فى الأسبوع القادم إن شاء الله .

أحمد خاكى

فى المذهب الرمزى

للأستاذ زكى طليمات

مفتش التمثيل بوزارة المعارف

« كتبنا فى العدد الماضى نقداً (لمفرق الطريق) وهى مسرحية تنزع نزعة رمزية فى مبناها ومعناها كتبها الأستاذ بشر فارس فجاءت تحفة فنية رفيعة . ومقال اليوم بحث فى الرمزية على القدر الذى لا تضيق به صفحات الرسالة » زكى

الرمزية إحدى الاتجاهات النفسية فى الإفصاح والتبيين ، فهى وسيلة من وسائل التعبير عن خلجات النفس تتجاوز الرمز بشىء إلى شىء آخر ، إلى إظهار الغامض والمبهم والتائه فى مغلفات الروح ، وتسجيل أصداء العقل الباطن

الرمزية عريقة فى الإنسان

ليس الرمز بالشىء الجديد فى نتاج الشعور الإنسانى . ولو رجعنا إلى الوراء نتأثر مصدر الرمز لوجدناه بعيداً فى أغوار الشعور الإنسانى منذ القدم ؛ فقد سجل الإنسان الغائر فى أجواف الماضى بالنقش على الحجر والحفر على جدران المغاور ، خلجات نفسه ونجى التائه فيها ، بعد أن أعياه الفكر فى الكشف عنها ومعرفة بواعثها ، فجاءت رموزاً تومئ ولا تفصح الافصاح كله عن أصداء النفس ولوامعها . بل من الرمز انبثقت العقائد لدى الزنوج . وما سائر طرائق الوثنية إلا رموز متتابعة لحيرة النفس أمام عجزها عن تفهم المظاهر الطبيعية الغامضة وقصورها عن إدراك أسرار القوى الخفية كالقدر والحياة والموت والبعث

فلما كد الذهن مستنبطاً أوضاعاً للحياة مصطنعاً دعائم المدنية ، وتقدم شأن العلم فحسر اللثام عن حقائق لم تتح معرفتها للأولين ضعفت النزعة إلى الرمز بعض الشىء ، ولازمها الضعف منزلاً بهـا الشحوب والهزال كلما دق الفكر فى وضع الصيغ واستنباط القيم ، وكلما كشف العلم عن حقول جديدة خفية من مظاهر الكون . وسرعان ما شغل الإنسان بالملموس من الأشياء عن التفكير وراء اللمس والحس ، وصارت خلجات النفس تصدر مصنوعة فى قوالب ، فكانت (كلاسيكية) التفكير والأدب والفن

وقويت دعوة العلم بعد أن هيمن الإنسان على القوى الطبيعية فنظم عملها ، وسخرها لمنفعتـه ولرفاهيته هازئاً بما راعه من جبروتها الأول ؛ ولكن ليتلقى سخريتها أحياناً وهو كظيم حينما يعاودها هذا الجبروت ، وهو طبيعة فيهـا ، فينفلت قيادها من يده وتطغى على قدرته . وبلغت هذه الدعوة أوجها فى أوائل النصف الأخير من القرن الماضى بعد أن سخر البخار فى وسائل النقل وإدارة الآلة ، وجاء العلم (بالمعمل) يفسر الغوامض ويحلل المركبات فقويت نزعة الإنسان إلى الأخذ بما ينتجه التحليل ، وصار العقل الصرف هو الميزان لديه فى الحكم على كل ما يقع عليه الحس وما لا يقع ، فاستنبط الفكر متأثراً (بالمعمل) ، واقعية الأدب والفن ، وهى النقل المجرد عن الطبيعة فى المحسوس والمرئى الظاهر من الأشياء ، وبذلك كمل طغيان المحسوس على ما وراء الحس

بيد أنه على الرغم من طغيان المحسوس على ما وراء الحس فإن النزعة الرمزية لم تمت فى النفس ، بل كانت لها يقظات خلال هذه المراحل المتوالية من التقدم الذهنى ، ترفع صوتها كلما راعها القصور عن إدراك كنه الحالات التى تعترضها

وما (رومانسية) الأدب والفن إلا مظهر شاحب من هذه الحالة ، وهى نزعة حطمت فى وقت ما القوالب والصيغ الكلاسيكية التى هى من فعل الفكر الخالص ، وأرسلت من القلب خلجة إحساسية مترعة ، وكان ذلك فى أواخر القرن السادس عشر فى انجلترا ، ثم فى أوائل القرن التاسع عشر فى فرنسا

وليس هذا بالأمر العجيب المستغرب ، فالانسان يحيا بغرائزه أحياناً أكثر مما يعيش بعقله الخالص . وآية ذلك أن الإنسان ما برح يخاف الموت وهو موقن بعقله أنه نهاية محتمة على كل حى

وكان بعد ذلك أن أفلس العلم فى كثير من المسائل الحيوية على الرغم من اختراع الكهرباء وتنظيم شئون الحياة ، فقلل العلم من غلوائه فى تفسير كل شىء ، وأخفت من صوته في دعواه الكشف عن كل غامض ، وسرعان ما استيقظت نزعة الرمز من جديد ، وبرز لها طابع فى أدب أهل الشمال من أوروبا ، وهم قوم يسكنون بلاداً يخفى الضباب معالمها فى وضح النهار ، وتطغى قتمة السحب على زرقة السماء طوال العام إلا أشهراً معدودة

هنريك ابسن وشعراء الرمزية

فطلع (أبسن) — وذلك فى أقصى الشمال ببلاد النرويج — بروايات رمزية أهمها (براند) و (بيرجينت) ، وانحدرت الرمزية

إلى البلجيك وهولندا ، فلاقت مستقراً خصباً إذ الطبيعة فى تلك البلاد تبدو كأنها غارقة فى التفكير والتروى والمراجعة ، وسرت عدوى الرمزية إلى فرنسا فطبعت أدبها وفنها ردحاً من الزمن تحتفظ منه واعية الأدب بأسماء (فيرهارن) و (رودنباخ) و (فان لربرج) و (رامبو) و (فيرلين) و (مالارميه) فى الشعر ، ثم (ماترلنخ) فى الروايات التمثيلية . وكانت الحقبة الأخيرة من القرن الماضى عصر ازدهار للأدب الرمزى فى فرنسا ، وكانت الحركة فى صميمها نزعة إلى التحرر من أدب الواقع والملموس إلى ارتياد آفاق جديدة طلباً للبحث عن الغامض من العواطف والتائه من الخلجات فى منعطفات الروح ومثانى المادة ؛ وهاديهم فى البحث والتنقيب الإحساس المرهف والإدراك المحض (والتخيل المنسرح) ، وصاغوا ما انتهوا إليه فى أسلوب طريف مترع بالأخيلة مشرق بالروحانية . إلا أنه كان للبعض منهم شطحات فى الخيال ، وجولات بعيدة فيما وراء المادة ، وغوص عميق فى متاهات القلب لم يخرجوا منه بكثير يؤبه له

ولا يتسع هذا المقام للإحاطة بالرمزية فى آداب الأمم الأخرى

الرمزية فى الأدب الاسلامى

أما فى العربية الاسلامية ، فالصوفية أبين مظاهر الرمزية . إلا أن الرمزية كانت لدى العرب علماً وليست فناً ؛ وبين العلم والفن فارق معروف ، ولذلك لم تفرض طابعها على كثير من الأدب الاسلامي ، وإن استقامت لها طريقة فى شعر (الخيام) وأمثاله ، ومن أخذ عنهم ، أو نحوا نحوه

والرمزية عند (الخيام) ضرب من الفورة الحسية حلت فيها عبقة روحانية

ولعل السبب فى أن الأدب العربى لم ينحرف إلى الرمزية الغامضة فى كثير من نتاجه ، ويخرج عن الواقعية و (الكلاسيكية) يرجع إلى الطبع البدوي الذى يميل إلى الوضوح والبساطة ، وإلى طبيعة البلاد التي نشأ ودرج وشب فيها ، حيث الشمس تسطع من أول النهار إلى آخره في سماء صافية متدخلة فى الثنايا والشقوق ، كاشفة عن ظواهر الأشياء فى جلاء ساطع ، كما أن الأدب الإسلامى لم يخرج عن الأوضاع الذى أورثه إياها الأدب الجاهلى ، واقتصر أمر التوليد فيه على التنميق فى الصيغ الشكلية

ويقيني أننا نتحرج إذا قضينا بأن الأدب العربى أو الاسلامى لم يعرفا الرمزية فى تراثهما الكبير ، إذ أن معين هذين الأدبين هو نفس المعين الذى أخذ منه الأدب الأوربى ، ألا وهو النفس البشرية . ومابرح البحث والاستقراء يتعقبان مخلفات الأدب العربى والاسلامى ، وهى مخلفات ، وياللأسف ، ما برحت مشتتة فى دور الكتب ما بين أوربا وأمريكا ليلقيا كل حين ضوءاً جديداً عليها

هذا والرمزية كما أسلفنا شيء كامن فى النفس ، تبدو صريحة كلما استشفتها الرغبة الذهنية إلى التطلع إلى ما وراء المحسوس ، وهو الباطن الثائر فى أعماق النفس ، أو كلما أحست النفس بهزيمة العقل أمام الغامض من الأمور . وها نحن أولاء فى القرن العشرين ، وهو قرن أصبحت للعلم فيه دولة ، ومع ذلك فقد قامت نظريات جديدة تدحض نظريات علمية وفلكية اتفقت عليها الآراء وقطعت بصحتها منذ مئات السنين . وهناك بديهيات عديدة ما برح للعقل فيها حيرة . ولم يبالغ (بوانكاريه) حينما قرر أن تقدم العلم تقدم آلى عجيب ، إلا أنه عجز عن أن يكشف الكشف الكامل عن كثير من الحقائق

الرمزية فى الأدب العربى المستحدث

أما ما يحضر أذهاننا من آثار الرمزية فى الأدب العربى المستحدث فينحصر فى كتابات (جبران خليل جبران) وهو لبنانى المولد عاش دهراً طويلاً من حياته فى المهجر الأمريكى فتأثر بكثير من كتاب الغرب ، واستقامت فى كتاباته طريقة رمزية تخالطها نزعة رومانسية . وقرأنا بعد ذلك شعراً رمزياً فى الأداء للدكتور بشر فارس وذلك منذ عشر سنوات فى مجلة المقتطف

وفى مؤلفات (توفيق الحكيم) نلمح الرمزية لامعة فى بعض ما أخرجه للمسرح ، ولا سيما فى روايته (شهر زاد) . وليس فى هذا ما يبعث على العجب ، فلتوفيق الحكيم نزعة صوفية أصيلة ، كما أنه أحسن استيعاب مسرحيات الايطالى (بيراندللو) ، وهو أبرز مؤلفى المسرحية الرمزية فى هذا العصر ؛ وتفهم مسرحيات الفرنسى (لونورمان) ؛ وليست مؤلفات (فرويد) و (بيرجسون) مما لم يحسن مطالعتها

فبشر فارس وتوفيق الحكيم يفترقان من مصدر واحد ، الأول يكتب متثبتاً بما تلقنه ، والثاني يؤلف بطبعه وخياله ، إلا أن لكل منهما طرائقه فى التعبير عن رمزيته ، وكلاهما يعيش بذهنه فى أوربا ويحيا بجسمه فى القاهرة .

زكى طليمات

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ - ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٣٦ —

وحي الأربعين

أصدر العقاد ديوانه « وحي الأربعين » في سنة ١٩٣٣ ؛ والسياسة المصرية يومئذ تسير في طريق معوج ، وحكومة صدقي باشا تمكن لنفسها بالحديد والنار ، و « الوفد » ومن ورائه الأمة كلها يجاهد حكم الفرد ويكافح للخلاص ، والعقاد يومئذ هو كاتب الوفد الأول ، يكتب المقالة السياسية فترن رنيناً ويلقفها آلاف القراء بلهفة وشوق في كل مدينة وكل قرية ؛ فلا عجب أن يكون العقاد بذلك عند عامة القراء هو أبلغ من كتب وأشعر من نظم ، حتى ليؤول أمره من بعد إلى أن ينحله الدكتور طه حسين بك الوفديُّ المتحمس ، لقب أمير الشعراء ، تملقاً للشعب ونزولاً على هواه ... !

ولقد يكون العقاد يومئذ على حقيقته هو سيدَ الكتاب وأمير الشعراء أو لا يكون ؛ ولكن هذه هي كانت منزلته عند الشعب يومئذ ؛ فلا يعاديه أحد إلا كان عدو الأمة ، ولا يعرض له أحد بالنقد في أي منشآته الأدبية أو السياسية إلا كان في رأي الشعب « دسيسة » وطنية أو صنيعة رجعية ...

هذه هي كانت الحقيقة في تلك الحقبة من التاريخ التي امتزج فيها الأدب بالسياسة امتزاجاً جعل طائفة كريمة من الأدباء يؤثرون الصمت واعتزال الأدب على أن ينزلوا بأنفسهم إلى معترك لا يعرفون أين تبلغ بهم عواقبه . ولكن الرافعي رجل - كان - لا يعرف السياسة ولا يخضع لمؤثراتها ؛ فهو لا يعتبر إلا مذهبه في الأدب وطريقته ؛ وسواء عنده أكان رأيه هو رأي الجماعة أم لا يكون ، ما دام ماضياً على طريقته ونهجه . ولقد قدمت القول بأن الرافعي كان يتربص بالعقاد منذ قريب لينزل إليه في معركة حاسمة تنقع غلته وتبرئ ذات صدره ، فما إن تهيأت له الأسباب بصدور « وحي الأربعين » حتى تحفز للعراك . وكان ما بين العقاد ومخلوف هو السبب المباشر الذي ألهب حمية الرافعي فنزل إلى الميدان مستكملاً أهبته مزوداً بسلاحه ، غير مكترث بما قد يناله من غضب الآلاف من القراء الذين يقدسون العقاد الكاتب تقديساً أعمى فلا يفرقون بين العقاد السياسي والعقاد الأديب ... !

وأرسل الرافعي يستدعيني إليه ذات مساء ، فرحت إليه بعد العشاء بقليل ؛ فإذا هو جالس إلى مكتبه ، وعلى مقربة منه « وحي الأربعين » وإن عليه لثوباً أحمر في لون عرف الديك ، وفي عينيه فتور وضعف ينبئ عن السهر والجهد العميق ؛ فإنه ليبدو في مجلسه ذاك كأنه عائد لساعته من معركة حمراء ... !

قال : « لقد فرغت من قراءة الديوان منذ قليل ، وإن لي فيه رأياً . فهل تساهرني الليلة حتى أملي عليك ما أعددت في نقده ؟ »

كانت هذه أول مرة يملي الرافعي عليّ فيها من مقالاته ؛ فكانت فرصةً سعيدة لي ، أشهد فيها الرافعي حين يلتقي الوحي ، وأصحبه في سبحاته الفكرية يقتنص شوارد الفكر وأوابد المعاني . وكانت فرصة سعيدة له : أن وجد يداً غير يده تحمل له القلم حين يكتب ليفرغ لنفسه ، ويخلو بفكره ؛ وما تعوّد قبلها أن يكتب وفي مجلسه إنسان . وإن أثقل شيء عليه أن يكتب بيده ، ولكن أثقل من ذلك عليه أن يعرف أن عيناً تلاحظه وهو يكتب ، فما زال يكتب لنفسه منذ بدأ متبرماً بهذه المهمة ، ضيق الصدر بما يبذل في الكتابة من جهد . وإن خطه لأردأ خط قرأت في العربية ... حتى اصطفاني لهذا الواجب ، فلزمته ثلاث سنين لا يهم بكتابة مقال إلا دعاني ليمليه عليّ ، حتى انتقلت من طنطا فعاد إلى ما كان من عاداته : يملي على نفسه ويكتب لنفسه ، ولم يسترح إلى كاتب بعدي يشركه في جلوة الوحي وخلوة الكتابة !

* * *

وجلس فأملى عليّ مقاله في نقد « وحي الأربعين » ، من قصاصات في يده لا تزيد إحداها على قدر الكف ، فما فرغ من الاملاء حتى أذن الفجر ، وحتى كانت هذه القصاصات بضعاً وعشرين صفحة كبيرة ، تشغل بضعة عشر نهراً من جريدة البلاغ .

وكانت ليلة تحملت فيها من الجهد والمشقة ما لم أتحمل فى ليلة غيرها فقمت منهوك القوة عيّان ؛ وقام الرافعى فى مثل نشاط الشاب في عنفوانه ، كأنما كان عليه عبء فرماه عن كتفيه ... !

وكان بين البلاغ والعقاد خصام ، وكان بينه وبين الرافعى مودة ، فما كادت تصل إليه مقالة الرافعى فى البريد المستعجل ظهر ذلك اليوم ، حتى أعلن عنها وبشر القراء أن ينشرها فى غد ... وشغلت من البلاغ ثلاث صفحات فى يومين ... وكان نقداً مراً حامياً اجتمع فيه فن الرافعى ، وثورة نفسه ، وحدة طبعه ، وحرارة بغضائه ، ولكنه كان نقداً منزهاً عن العيب

أستطيع أن أقول ويقول معى كثير من أدباء العربية : إن هذه المقالة هي خير ما كتب الرافعى فى نقد الشعر ، وأقربها إلى المثال الصحيح ، لولا هفوات قليلة يعفيه من تبعتها أنه إنسان !

من قرأ « على السَّفُّود » فعابه على الرافعى وأنزله غير ما كان ينزله من نفسه ، فليقرأ مقال الرافعى فى نقد « وحى الأربعين » ليرى الرأى المجرَّد فى شعر الأستاذ العقاد عند الرافعي ...

ومضى يوم واحد ، وظهرت صحيفة الثلاثاء من جريدة الجهاد وفيها رد العقاد على الرافعى ، وقد نفذ إليه من باب لم يحسب الرافعى حسابه ، فتغير وجه الحق ، ودارت المعركة حول محور جديد ...

كان عنوان مقالة العقاد « أصنام الأدب » فيما أذكر ، وكان مدار القول فيها هو الطعن على رجلين : هما إسماعيل مظهر ، والهزار الأصم مصطفى صادق الرافعى . وكان أكثرُها سباباً وشتيمة وأقلها فى الرد والدفاع . على أن العقاد لم يردّ رأى الرافعي فيما أخذ عليه من مآخذ إلا فى مواضع قليلة ، وترك الرد فى أكثر ما عاب عليه الرافعى ، مستعيضاً عن الرد بالشتم والسباب ... !

وإذا كان السبب مفهوماً فى طعن العقاد على الرافعى وشتيمته إياه ، فأى سبب حمل العقاد على أن يشرك الأستاذ إسماعيل مظهر مع الرافعي فيما وجّه إليه من الشتم والتهمة ؟

جواب ذلك يفهمه من يعرف أن الأستاذ إسماعيل مظهر صاحب المصور ، هو طابع كتاب « على السفود » وناشره ومروّجه . أفنستطيع أن نحكم من هذا بأن العقاد لم يكن يعنى الرد على مقال الرافعي الأخير وحده ؛ ولكنه وجدها فرصة لتصفية الحساب القديم كله بينه وبين الرافعى وصاحبه الذى أغراه على كتابة « على السفود »

وكان الباب الذى نفذ منه العقاد فى الطعن على الرافعى ، هو اتهامه فى وطنيته ، وإيهام قرائه بأن الرافعى لم يكن لينقده إلا لأنه هو العقاد السياسى الوفدى عدو الحكومة المتسلطة على الناس بالحديد والنار ! وحسبك بها من تهمة حين يقولها العقاد !

إن للعقاد مفاجآت عجيبة فى النقد ، تمثل العقاد الكاتب المرن المحتال فى أساليب السياسة ، أكثر مما تمثله ناقداً محيطاً يدفع الرأى بالرأى والبرهان بالبرهان !

وقرأت مقالة العقاد فى الرد على الرافعى ، فوجدت أسلوباً فى الرد لم أكن أنتظره ، يؤلم ولا يفحم ، ويقابل الجرح بالجرح لا بالعلاج . فما فرغت من قراءة المقال حتى تمثل لى الرافعى مربّد الوجه من غيظ وغضب ، مزبد الشدقين من حنق وانفعال ؛ فسرنى أن أسعى إليه قبل ميعادى لأراه فى غيظه وحنقه وانفعاله ، فانتهزت ساعة فراغ فى الظهر ، فمضيت إليه فى (المحكمة) ؛ فما كاد يرانى مقبلا عليه حتى هتف بى وهو يبتسم ابتسامة المسرور ثم قال : « أقرأت مقالة العقاد ؟ » قلت : « نعم » قال : « فماذا رأيت فيها ؟ » قلت : « لقد كان شديداً مؤلماً ! » فضحك وقال : « والله ما رأيت كاليوم ! لقد ضحكت حتى وجعنى قلبى من شدة الضحك ... إنه لم يكتب شيئاً ، ولم يرد على شيء ؛ إن سبابه وشتمه لن يجعله عند القراء شاعراً كما يشتهى أن يكون ، وإن حسب أنه به يكسب المعركة . لقد حق عليه ما قلت فيه ، وإنه ليعترف . إن فراره من الرد إلى السباب والشتيمة ليس إلا اعترافاً بالعجز ... »

قلت : « إذن فأنت لا تنوى الرد ؟ »

قال : « وأى شيء تراه يستحق الرد فيما كتب ؟ »

قلت : « ولكن القراء لن يفهموا سكوتك على وجهه ، ولن يسموه إلا انسحاباً من المعركة ... ! أفترضى أن يقال عنك ... ؟ »

وبدا على الرافعى كأنه اقتنع ، وهاجته كلماتى مرة أخرى إلى النضال . ومعذرة ثانية إلى الأستاذ العقاد !

إن معركة تدور رحاها بين العقاد والرافعى جديرة بأن

يحتفل لها الأدباء وأن تنال من اهتمامهم أوفي نصيب ، وإن لهم فيها لمتاعاً ولذة وفائدة . وما كان لي أن أقنع وقد هجت هذه المعركة بما فيها من متاع ولذة وفائدة بأن تنتهي من أول شوط ! »

وقال لي الرافعي : « فهل توافيني الليلة لأملي عليك ؟ »

فواعدته وذهبت إليه في المساء ، فأملى عليّ فصلا من نسخته الخاصة لكليلة ودمنة ، بعنوان « الثور والجزار والسكين ! » ثم أتمه مقالا في الرد على العقاد . وكان فصلا قاسياً عنيفاً ، ليس من مذهب المقال الأول ولا نهجه ، إذ لم يكن المقصود به النقد وحسب ، بل الرد والسخرية والإيلام ، ثم قطع السبيل وتدعيم الدليل وتقرير المعنى فيما قدّم من مواضع النقد

ثم رد العقاد ليعلن انسحابه من المعركة ، شاكراً للذين أيدوه ، معتذراً عن عدم الاستمرار في مناقشة دعوى الرافعي ! واستمر الرافعي يكتب حتى فرغ ...

وكان النصر للرافعي عند طائفة ، ولكنه خسر عطف الآلاف من أصدقاء العقاد الكاتب الوطني الكبير ، إذ لم يروا عداوة الرافعي له في الأدب إلا دسيسة سياسية من خصوم العقاد !

***

وانتهت المعركة الأخيرة بين الرافعي والعقاد ، ولكن الرافعي لم يقتنع بما نال من النصر عند الصفوة من القراء الذين يفرقون بين الأدب والسياسة ، إذ كان على يقين أنه وإن كانت له الغلبة ، قد خسر أكثر الطائفتين من قرائه لأنهم على مذهب العقاد السياسي ، فظل مغيظاً محنقاً إلى حين ...

ومضت سنتان ، وتقلبت السياسة المصرية من تقلباتها ، فاذا العقاد الذي كان كاتب الوفد الأول ، خارج على الوفد ، يطعن عليه وعلى رئيسه ؛ وأنصار الوفد ما زالون إلى يومئذ أكثر الأمة ... ووجد الرافعي فرصة سانحة لينتقم ، وليستخدم السياسة في النَّيل من خصمه في الأدب ، فيكيل له صاعاً بصاع ، ويحاربه بمثل سلاحه ؛ فكتب مقالاً بغير توقيع في كوكب الشرق ، جريدة الوفد ، بعنوان : « أحمق الدولة ! » وكان مقالا له رنين وصدى ...

ونشر في (الرسالة) يومئذ كلمات تحت عنوان « كلمة وكليمة » عرّض فيها بالعقاد الخارج على الوفد تعريضاً أليماً يؤذيه ، لم ينتبه له إلا القليل

وكان مقاله عن العقاد في كوكب الشرق ، وكلماته في الرسالة سبباً في أن يدعوه الأستاذ توفيق دياب ليحرر في الجهاد بأجر كبير ؛ ولكن لم يتم بينهما اتفاق

ولم تكن تسنح للرافعي سانحة لغيظ العقاد إلا انتهزها ، فما كتب الرافعي عن شاعر من الشعراء بعد ذلك إلا جعل نصف كلامه تعريضاً بشعر العقاد . ومن ذلك ما كتب عن الشاعر المهندس علي محمود طه في المقطم ، وما نشره عن الشاعر محمود أبو الوفا في الرسالة ، ومقالته « بعد شوق » معروفة لقراء الرسالة عامة ؛ وكلها تعريض بشعر العقاد الذي نحله الدكتور طه حسين إمارة الشعر في يوم من الأيام بعد شوق !

***

والعداوة بين الرافعي والعقاد من العداوات المشهورة بين أدباء الجيل ، ولها أثر أي أثر فيما أنتج كل من الأديبين الكبيرين في أدب الوصف ؛ ولا تداني هذه العداوة في الشهرة إلا العداوة بين الرافعي وطه حسين

وأحسب أنه كان في الإمكان أن يجتمع العقاد والرافعي في تحرير الرسالة لو لا ما كان بينهما من خلاف وعداوة . قال لي الأستاذ الزيات مرة منذ عامين : « وددت لو يكتب العقاد في الرسالة ! ولكنما يمنعني من دعوته إلى ذلك أنني لا أستطيع أن أنشر له وللرافعي في عدد واحد ! »

قلت : « فما يمنع ؟ »

قال : « أنت تعرف أخلاق الرافعي ، وأنا أعرف أخلاق العقاد ، وإن لكل منهما اعتداداً بنفسه بازاء صاحبه ، فأي المقالين أقدم وأيهما أؤخر في ترتيب النشر ؟ إن تقديم مقال على مقال ليس شيئاً ذا بال ، ولكنه بين الرافعي والعقاد له شأن أي شأن ! »

وظل الأستاذ الزيات معنياً بهذا الأمر ، حريصاً على أن يجمع بين الأديبين الكبيرين في مجلته ، وهو يلتمس السبيل إلى ذلك فلا يوفق ، حتى مات الرافعي فانحلت المشكلة ؛ ودخل العقاد ، ولكن بعد ما خرج الرافعي !

رحم الله الراحل ، ونفع بالباقي !

محمد سعيد العريان

عبقرية الشريف الرضى

للدكتور زكي مبارك

« قبل نهاية هذا الشهر يصدر فى بغداد كتاب في جزأين للدكتور زكي مبارك . وهذه فاتحة ذلك الكتاب ، وهى تشرح مذهب المؤلف فى دراسة الأدب العربى وطريقته فى التأليف »

أما بعد فهذا كتاب « عبقرية الشريف الرضى » وما أقول إنى شغلت به نفسى سنة كما قلت يوم أخرجت شرح « الرسالة العذراء » ، ولا سبع سنين كما قلت يوم أخرجت كتاب « النثر الفنى » ، ولا تسع سنين كما سأقول باذن الله يوم أخرج كتاب « التصوف الإسلامي »

فما شغلت نفسى بكتابى هذا غير خمسة أشهر . ولكنها من أشهر بغداد لا أشهر القاهرة ولا باريس . وما كان لى فى بغداد لهو ولا فتون ، فكانت الليلة فى بغداد كليلة القدر ، خير من ألف شهر ، والتوفيق من أشرف الأرزاق

وكتابى هذا هو مجموعة المحاضرات التى ألقيتها فى قاعة كلية الحقوق ، وكانت تلك المحاضرات من أشهر المواسم فى حياتى ، فقد كان أصدقائى يخشون أن يمل الجمهور بعد أسبوع أو أسبوعين ، ولكن الجمهور كان يزداد إقباله من أسبوع إلى أسبوع ، ولم ينقذنى منه غير التصريح بأنى أنفقت كل ما كنت أملك ، ولم يبق إلا أن أستريح !

ومحاضراتى بكلية الحقوق فى بغداد هى الموسم الثاني بعد محاضراتى عن « المدائح النبوية » وهى المحاضرات التى ألقيتها باسم الجامعة المصرية فى قاعة الجمعية الجغرافية بالقاهرة ، فهل يتسع العمر لموسم ثالث فى القاهرة أو فى بغداد ؟

لا تسألونى كيف ظلمت نفسى فأعددت هذه المحاضرات وأنشأت معها مقالات كثيرة جداً نشرتها صحف مصر ولبنان والعراق ورججت الحياة الأدبية فى بغداد رجاً عنيفاً ، فذلك كان أقل ما يجب أن أصنع فى مقابل الثقة التى شرفتنى بها حكومة العراق ؛ وذلك كان أقل ما يجب أن أصنع لأحفظ لنفسى مكاناً بين الأساتذة المصريين الذين تشرفوا بخدمة العراق من أمثال محمد عبد العزيز واحمد حسن الزيات والسنهورى وعبد الوهاب عزام ومحمود عزمي ؛ وذلك كان أقل ما يجب أن أصنع فى خدمة تلاميذى وتلميذاتى فى بغداد ، وقد رأيت فى وجوههم وجوه أبنائي وبناتى فكلفت نفسى فى خدمتهم فوق ما أطيق

لا تسألونى كيف ظلمت نفسى فأنفقت من العافية ما أنفقت؟ فقد ساءنى أن أعرف أن « دار المعلمين العالية » لها فى بغداد تاريخ ، فكانت تفتح ثم تغلق ، وتفتح ثم تغلق ، فاستعنت الله وانتفعت بعطف معالى وزير المعارف الأستاذ محمد رضا الشبيبى وأريحية الأستاذ طه الراوى ومودة الدكتور فاضل جمالى ، وعولت على همة زميلى وصديق الدكتور متى عقراوى ، وأقمنا لدار المعلمين العالية أساساً من متين التقاليد الجامعية ، فأغنينا مكتبتها بالمؤلفات القديمة والحديثة وعلمنا طلابها كيف يبحثون ويراجعون ، وغرسنا فيهم الشوق إلى التحقيق والاستقصاء

ورأيت أن يكون من تقاليد هذا المعهد العالى أن يخرج فى كل سنة كتاباً عن شاعر أو أديب أو مفكر لم يدرسه أحد من قبل ، فألفت كتابى هذا عن الشريف الرضى . فإن ترفقت شواغلى بمصر وأذنت لى بالرجوع إلى بغداد فسأخرج فى كل سنة كتاباً جديداً . وإن أبت تلك الشواغل أن أتمتع مرة ثانية بالاستصباح بظلام الليل فى بغداد فسيذكر من يخلفنى أنى طوقت عنقه بطوق من حديد ، وأن لا مفر له من أن يشقى فى سبيل « دار المعلمين العالية » كما شقيت

وإنما نصصت على هذه المعانى فى مقدمة هذا الكتاب لأجتدي العطف على « دار المعلمين العالية » . وممن أجتديه ؟ من حكومة العراق ، فما يجوز أن يغلق هذا المعهد ، وإنما يجب أن تبذل الجهود ليصبح منافساً قوياً لكلية الآداب بالجامعة المصرية

قد يقول قوم من خلق الله : ولماذا ابتدأت بالشريف الرضى !

إن قالوا ذلك ، فالجواب عند الأستاذ عباس محمود العقاد ، فهو يذكر جيداً أننى قلت له يوم أخرج كتابه عن ابن الرومى : كان الأفضل يا أستاذ أن تنفق هذا الجهد فى دراسة أشعار الشريف الرضى

إن قالوا ذلك فالجواب عند الأستاذ الدكتور طه حسين ، فهو يذكر جيداً أنى نبهته إلى أن الاهتمام بدراسة شعر الشريف الرضى كان أولى من الاهتمام بدراسة شعراء القرن الثالث

إن قالوا ذلك فالجواب عند نادى الموظفين بالقاهرة فقد طلب فى سنة ١٩٣٢ أن ألقى محاضرة عن أعظم شاعر فى اللغة العربية فكانت محاضرتى عن الشريف الرضى

ابتدأت بالشريف الرضى على غير موعد ، فقد رأيتنى فجأة بين دجلة والفرات ، فتذكرت أن قد جاء الأوان لدراسة هذا الشاعر الذى تعصبت له منذ أعوام طوال

ويشهد الله وهو خير الحاكمين أنى لم أفكر فى إنصاف الشريف الرضى إلا يوم قدم لى الدكتور شريف عسيران نسخة من كتاب الأستاذ المقدسى عن أمراء الشعر فى العصر العباسى ، فأزعجنى أن يهتم بابن المعتز وينسى الشريف الرضى ، مع أن ديوان ابن المعتز لا يساوى قصيدة واحدة من قصائد الشريف

فمن شاء له هواه أن يزعم أن لى غاية فى التعصب للشريف الرضى فليتق الله فى نفسه ، وليذكر أن الدكتور زكى مبارك لو كان أنفق نشاطه فى الاتجار بالتراب لأصبح من كبار الأغنياء ، ولكنه بلا أسف سيموت فقيراً لأنه أنفق نشاطه فى خدمة الأدب العربى

والأدب العربى خليق بأن يكون له شهداء ، وأنا فى طليعة أولئك الشهداء

سيرى قراء هذا الكتاب أنى جعلت الشريف أفحل شاعر عرفته اللغة العربية ، وقد سمع بذلك ناس فذهبوا يقولون فى جرائد بغداد : أيكون الشريف أشعر من المتنبى ؟

وأستطيع أن أجيب بأن الشريف فى كتابى أشعر من المتنبى فى أى كتاب . لن يكون المتنبى أشعر من الشريف إلا يوم أؤلف عنه كتاباً مثل هذا الكتاب . والقول الفصل فى هذه القضية أن المتنبى فى بابه أشعر من الشريف ، والشريف فى بابه أشعر من المتنبى ، وكل عبقرى هو فى ذاته أعظم الناس لأن ميدانه لا يجاريه فيه أحد سواه ، والشريف بهذا المعنى أفحل الشعراء لأنه جرى فى ميادين سيظل فارسها السباق على مدى الأجيال

وما الذى يضر أنصار المتنبي حين أقدّم عليه الشريف ؟

هل فيهم من يحفظ ديوان المتنبي كما أحفظ ديوان المتنبى ؟

إن سجلات كلية الآداب بالجامعة المصرية تشهد بأنني كنت أول من دعا إلى الاحتفال بمرور ألف سنة على وفاة المتنبى ، ولى على ذلك شهود منهم الشيخ السكندرى والأستاذ عباس محمود والدكتور منصور فهمى

وما الذى يضر أهل العراق من أن أهتمّ بشاعر لا يعرف العراقيون موضع قبره على التحقيق ؟ أليس من العجائب أن يعرف العراقيون قبر معروف الكرخي ويجهلوا قبر الشريف الرضي ؟

إن هذا هو الشاهد على أن العوام أحفظ للجميل من الخواص !

إن كان خصومى فى بغداد دهشوا من أن أتعصب لشاعر رضى عنه ناس وغضب عليه ناس فليذكروا أننى كنت كذلك طول حياتي فوضعت بالنقد قوماً ورفعت آخرين ، وفقاً للحق لا طوعاً للأهواء

وأنا والله راض بأن يغضب علىّ أهل بغداد ، فقد غضبوا على أبى طالب المكي فمنحوه الخلود

أنا أحب الخصومات لأنها تذكي عزيمتى ، ومن أجل هذا أنظر نظر الجزع إلى مصير خصوماتى فى بغداد ، فلن يكون لي فى بغداد خصوم بعد ظهور هذا الكتاب ؛ وإنه لقادر على أن يفجر العطف فى القلوب المنحوتة من الجلاميد . سيذكر أدباء بغداد أننى أحببت شاعراً هو من ثروة العروبة وثروة العراق . سيذكر أدباء بغداد أننى وفيت لمدينتهم السحرية حين اهتممت بشاعر كان أصدق من عرف النعيم والبؤس فوق ثرى بغداد

وكتابى هذا تطبيق لما شرعت من قواعد النقد الأدبى ، تلك القواعد التى أذعتها فى كتاب (الموازنة بين الشعراء) ، وهو من أجل هذا لون جديد فى اللغة العربية . وسيكون له تأثير شديد فى توجيه الدراسات الأدبيـة ، وقد يصلح ما أفسد الزمان من عقول الباحثين

وبيـان ذلك أنى لم أقف من الشاعر الذى أدرسه موقف الأستاذ من التلميذ كما يفعل المتحذلقون ، وإنما وقفت منه موقف الصديق من الصديق . والتشابه بينى وبين الشريف الرضى عظيم جداً ؛ ولو خرج من قبره لعانقنى معانقة الشقيق للشقيق ، فقد عانى فى حياته ما عانيت في حياتى : كافح فى سبيل المجد ما كافح وجهله قومه وزمانه ، وكافحت فى سبيل المجد ما كافحت وجهلنى قومى وزمانى

وهذا الترفق فى معاملة الشريف ليس نزوة شخصية ، وإنما هو وثبة علمية ، فما كان يمكن أن أكون وفياً للبحث إلا إن سايرت الشاعر الذي أعرض عقله وروحه على تلاميذى . وهذه هي المزية التى أتفرد بها بين أساتذة الأدب العربى

سايرت الشريف مسايرة الصديق للصديق : فإن آمن آمنت ، وإن كفر كفرت . إن جدّ الشريف جددت ، وإن لعب لعبت . إن عقل الشريف عقلت ، وإن جن جننت . إن قال الشريف إن غاية الرجل العظيم هى الحرب ، قلت : صدقت . وإن قال : إن الحياة هى الحب ، قلت : والحب الحياة !

ولكنى مع هذا عاملته معاملة الصديق الأمين فنبهته إلى عيوبه بتلطف وترفق ؛ نبهته تنبيهاً دقيقاً جداً لا يفطن إليه إلا الأذكياء ، وفى بنى آدم أذكياء . نبهته إلى عيوبه أكثر من ستين مرة ؛ وما أظنه يحقد عليّ ، لأن الصديق الذى فى مثل حالى تغفر له جميع الذنوب

والشواهد فى هذا الكتاب كثيرة جداً ؛ وذلك هو أسلوبى فى البحث ، فأنا أشغل القارئ بالشاعر الذى أدرسه أكثر مما أشغله بنفسى ، وهذه إشارة أرجو أن ينتفع بها المتحذلقون

اعتمدت على طبعة بيروت وصححت ماصادفنى فيها من أغلاط ، وشرحت ما يجب شرحه من الأشعار خدمة للقارئ الجاحد الذى لا يفهم قيمة الوقت الذى ينفقه الشارح فى تحديد المعانى ؛ وصححت الكتاب كله بنفسى تصحيحاً دقيقاً . فإن رأى فيه القارئ أغلاطاً فذلك ذنب العجلة لا ذنبى . وأدخلت فنوناً من الذوق على الطباعة فى بغداد سيذكرها أصحاب المطابع

بغداد !

هذا كتابى ، أقدمه بيمينى فى تهيب واستحياء ؛ فإن رضيت عنه فذلك لطف ورفق ، وإن غضبت عليه فلست أول حسناء تجحد الجميل

اصنعى فى ودادى من التنكر والتقلب ما شاء لك الدلال . أما أنا فأشهد أنك صنعت بقلبى وعقلى ما عجزت عنه القاهرة وباريس !

أنت مظلومة يا بغداد ، وأنا مظلوم يا بغداد ؛ والظلم يجمع بين القلوب ، نصرك الله ونصرنى ، ورعاك ورعانى ، إنه سميع مجيب . وعليك منى السلام .

زكى مبارك

من برجنا العاجي

سألنى الأستاذ أحمد أمين من أيام عن فكرة غريبة قال إنها جالت بخاطره ؛ وخاطره هذا كنز لا يفنى من الأفكار الغريبة . قال :

« ترى ماذا يفعل الانسان إذا علم أنه سيموت بعد عام ؟ »

فقلت له : الجواب يتوقف على معرفة نوع هذا الانسان وطبيعته وعلمه

فقال : « أنا وأنت مثلاً . ماذا كنا نصنع ؟ »

فأجبته على الفور :

أنا وأنت ؟ كنّا ننكبّ فى الحال على التأليف والكتابة ليل نهار . فقال فى دهشة :

— كنت أحسبك تقول العكس ، وترى أن قرب الموت قد يجعلنا نطلق العمل ونفزع إلى حياة اللهو والمتعة ، أو على الأقل حياة الهدوء والراحة

— نحن يا صديقى نفعل ما يفعله كل أب بار . فما الذى يصنعه الأب البار بأبنائه حينما يدنو منه الموت ؟ ألا يتمنى أن يتركهم وقد اكتمل نضجهم ؟ ألا يفكر ليل نهار فى إتمام تربية هذه الأكباد حتى تقوى على المشي فوق الأرض ؟ وأنا وأنت لسنا أكثر من آباء ، لنا أكباد تمشي لا على الأرض ... لكن على الورق ....فكيف نموت وفى خزائن أحدنا صفحات من كتاب لم يكتمل فى « ضحى الإسلام » أو فى « النقد الأدبى » ، وعلى مكتب الآخر قصص تعج بأشخاص نصف أحياء يطالبون بحقهم فى الحياة ، ويمسكون بتلابيب « مؤلفهم » لا يدعونه يموت قبل أن ينفخ فيهم بعض الروح ؟ إنه ليخيل إلىّ أحياناً أن حياتنا متصلة بحياة إنتاجنا ، وإن فى أعماق كل « خلاّق » شبه غريزة داخلية تدفعه إلى الانتاج البطىء أو السريع طبقاً لطول حياته أو قصرها . إنا قد بعنا أنفسنا لشيطان « التأليف » ، ولن يتركنا هذا « الشيطان » فى راحة إلا عندما نلفظ النفس الأخير !

توفيق الحكيم

المخترعات وكتاب الفصول والغايات

لباحث كبير

(اللزوميات) هي عبقرية المعرى[1] فى النظم ، و (الفصول والغايات) هى عبقريته فى النثر . والعبقريتان فى أكثر المقاصد والمرامى تلتقيان . وفى هذه العبقرية (المعجزة الأحمدية) يقول أبو العلاء :

« إن شاء الملك قرب النازح وطواه ، حتى يطوف الرجل في الليلة الدانية بياض الشفق من حمرة الفجر ، طوفَه بالكعبة حول قاف ، ثم يؤوب إلى فراشه والليلةُ ما همّت بالإسحار ، ويسلم بمكة فيسمعه أخوه بالشام ، ويأخذ الجمرة من تهامة[2] فيوقد بها ناره فى يبرين[3] وقاصية الرمال »

وقد شاء الله أن يكون فى هذا الزمان كل ذلك ، فإن المرء ليسرى[4] من (الاسكندرية) طائراً إلى (قاف) سلع ، الجبل فى المدينة (يثرب) ؛ ثم يؤوب ويأوى في فراشه والليلة ما همت بالإسحار ، وطوفه حول (قاف) القصاصين و (قاف) بعض المفسرين — أى حول الكرة الأرضية — فى يوم أو ليلة هو فى الغد ، و « مهما تعش تره[5] »

وإن المصلى (أو غير المصلى) ليسلم فى مكة فيسمعه أخوه فى (سان‌فرنسيسكو) وأخوه الذى هو فى (طوكيو) ، ويسمعه كل صاحب (مِصْوان[6]) فى الأرض

وإن مركونى — وهو في سفينته في ميناء فى إيطالية — قد أضاء بشرارة — لا بجمرة — مدينة (سدنى) فى استرالية

هي العبقرية وهم العبقريون يقذفون بالقول فيفسره الدهر بعد أحقاب أو يحققه

وقد شاء الله (جلت قدرته) أن يجيء فى هذا الزمان ماتخيله أبو العلاء فى وقته

وقد شاء الله (عظمت منته) أن يظهر اليوم هذا الكنز العظيم : كتاب (الفصول والغايات) المكتنز بالفوائد ، محققاً مضبوطاً مشكولاً مشروحاً يشرح الصدر ، ويسر العين ، ويبهج القلب ، وينور العقل

وهذا القول فى هذا الكتاب حق كله ، ولم يُهده مُهدٍ إلى فيقول الإهداء : هات الثناء . بل افتلذت ، اقتطمت ثمنه (والله) من عيشى[1] ، ومن قوتى ، وكنت لعقلى وروحى من المحسنين . وفى سبيل أبى العلاء والعلم الصومُ ووهنُ الجسم

(الاسكندرية) (***)

(١) قال الزمخشرى : أهل الحجاز يسمون الطعام عيشاً

(١) احمد بن عبد الله بن سليمان ، وفى مقدمة (القاموس) ومقالة (شق وسطيح) فى الجزء الماضى من الرسالة : احمد بن سليمان ، وسليمان جده

(٢) تهامة : مكة ، وبلاد شمالى الحجاز

(٣) يبرين من أصقاع البحرين ، ويبرين قرية من قرى حلب (معجم البلدان)

(٤) سرى وأسرى لغتان (الكشاف) وكلتاهما في (الكتاب)

(٥) مهما حرف فى الشرط بمنزلة ما ، والهاء فى تره للسكت ومفعول تر محذوف والتقدير : ما تعش تر أشياء عجيبة ، أى ما دمت تعيش ترى شيئاً عجيباً (الميدانى)

(٦) وضعت (المصوان) لأداة الراديو وأنا أكتب هذه الكلمة عجلا ، وقد يجلب البحث والتفكير أحسن منها

فلسفة التربية

تطبيقات على التربية فى مصر

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٤ —

« إذا لم تكن البطالة ناشئة عن نقص فى الشخص نفسه ، فهى ناجمة من غير شك عن خطأ فى روح تعليمه !! » (١)

« إن من يأنف اليوم من حمل الفأس ومن تلويث يديه بالطين لن يصلح غداً لاصلاح أمره إذا ما ضاقت به الحياة وقسا عليه القدر ! »

« لقد أفقدناهم الحماس وا أسفاه ، وجعلناهم يقبلون على العلم بخمود دائب ، وتحجر متواصل ، وبطء شديد ! »

« من رسالة الدكتور جاكسن »

٤ — المتعلمون العاطلون

تبينت فى المقال السابق بعض نواحى الضعف فى التعليم الالزامى وبعض وجوه الاصلاح ، وسترى اليوم ناحيـة أخرى جديرة بالدرس والعلاج نظراً لما فيها من خطر شديد على كيان المجتمع القائم حاضره ومستقبله :

١ — العاطلون

أترى أولئك المتعلمين العاطلين ؟ أتسمع عن جيوشهم فى كل مدينة من مدن القطر ؟ أتلحظ حقدهم على كل حكومة لم تسلكهم فى سلك الموظفين المجدودين ؟ أتتبين تقاعدهم وتسكعهم وعجزهم عن المجاهدة فى الحياة إزاء الأجنبى الدخيل ؟ ثم نفورهم كبراً وتيهاً من أعمال البيع والشراء وغير البيع والشراء ، مما يظنون أنهم لم يخلقوا له فى كثير ولا قليل ؟

ذلك هو المشكل الذى نبسطه اليوم ونعالجه على ضوء التربية والتعليم ! والذى ينبغى على الدولة أن توليه من عنايتها نصيباً موفوراً نظراً لأن أولئك المتعلمين العاطلين خير تربة صالحة لانماء المبادئ والأفكار التى فيها كما قلت الخطر كل الخطر على كيان المجتمع نفسه حكومة وشعباً !

تُرى مِمَّ نجمت هذه البطالة ؟ ومن هو المسئول عنها ؟ أفى البلد أزمة اقتصادية عنيفة فهم لا يجدون فيها عيشا ؟ وما بال أولئك « الأجانب » يملأون المتاجر والمصارف ويقومون بمختلف المشروعات وينجحون فيها كل النجاح ؟ ألست ترى إلى الرومى أو غيره يدخل البلد فقيراً معدماً ثم يغدو بعـد سنين صاحب متجر عظيم ومُلكٍ أعظم ؟ إن الخير فى هذا البلد كثير ، والعيش يسير ، ولكن العيب وا أسفاه فى المتعلم نفسه وما قد طُبع عليه من كره للعمل والعاملين ، وعشق « للديوان » الثابت والراتب المضمون !! ولذلك يقول الدكتور « جاكسون » : إن الخطأ إنما يقوم فى روح التربية المعطاة وما يوحيه من أن المدرسـة تأخذ بالأيدي من « الطين » حيث الجهد والنصب ، إلى « المكتب » حيث الراحة والكلام !! ألست تسمع أنشودة « الوظيفة » من أمك وأبيك وأقاربك وذويك ؟ ألست ترى « للموظف » قدراً فى المجتمع دونه قدر التاجر أو الصانع أو الفلاح ؟ ألست ترى طابع « الحكومة » يميز حامليه ويملأهم عجباً وتيهاً وزهواً وفخراً ؟ ألست ترى حولك كثيرين ممن يرون فى « العمل » حطة لهم ولعائلاتهم مع أنه قد يكون السبيل الوحيد لمعاشهم ؟ وأخيراً ألست تشاهد المئات من خريجى المدارس الزراعية والتجارية والصناعية يتكالبون على الوظائف الفنية وغير الفنية ، مع أن الدولة قد أنفقت عليهم الألوف لتجعل منهم طبقة فنية راقيـة تأخذ بيد مرافق البلد الاقتصادية وترقيها ، وتحررها من قيود الجهل والتقاليد ، وتطبعها بالطابع القوى المنشود ؟(١)

٢ — العلاج

تلك إذاً هى « الفكرة الخاطئة » التى يجب أن نمحوها محواً بمختلف أساليب التربية والاقتصاد ، لأن التربية لا تستطيع

---

(١) هذا إذا نحينا الأزمات الاقتصادية جانبا ...

(١) والعجيب أن العشرات من هؤلاء الفنيين ممن يدخلون الحكومة لا يلتحقون بأعمال تتفق وثقافتهم ! فكثير منهم كتاب لا أكثر ولا أقل ، وكثير غير هؤلاء يعملون فى أعمال تخالف أعمالهم الفنية الخاصة مخالفة كبيرة أو صغيرة . ومنهم من لا يتاح له استعمال ثقافته إلا فى ناحية ضيقة محصورة كمعاونى الزراعة الذين يبخرون الأشجار فحسب ، أو ينبهون الحكومة إلى دود القطن ... ! ومعنى ذلك أننا ننفق الالوف المؤلفة فى بناء المدارس الفنية وفى تعليم المئات دون أن نعمل على استغلال هذه الثقافة الفنية الواسعة إلى أبعد حدودها ... ألست ترى هـذا عجبا ؟ أعرف أحد خريجي المدارس الصناعية الذين يئسوا من الوظيفة فنصحه البعض أن يؤسس مصنعا للسبك فأسسه بالفعل ونجح فيه نجاحا مبشراً بكل فوز ، ولكنى حين أسأله عن رأيه فى الوظيفة أسمع منه ميلا شديداً إلى ترك المصنع والالتحاق بها ... !

وحدها أن تصلح كل شيء . يجب أن يحسّن الأسواق القائمة ، وأن نفتح أسواقاً جديدة ، وأن نعمل كما يقول الأستاذ جاكسون على زيادة « الطلب » ليرتفع أجر العامل ويغريه بالعمل وترك الحكومة ، كما يجب كذلك أن نجعل مدارسنا الفنية مسلحة بكل تجديد كهربائي أو ميكانيكي لتستطيع أن تواجه حاجات العصر ، وأن تصمد لمنافسة المحصولات الرخيصة التي تمطرنا بها أوربا وأمريكا واليابان ، وأن نحول مدارسنا الالزامية والابتدائية والثانوية إلى نظام آخر يسمح بكثير من « العمل » اليدوي ما دام العاطلون من خريجي هذه المدارس أكثر عدداً وأفدح خطراً من خريجي المدارس الفنية . أفي المدارس الالزامية «عمل» بالمعنى الساذج البسيط ؟ وهل في المدارس الابتدائية غير ساعتين للعمل في الأسبوع منفصلتين تماماً في « عملهما » عن المواد الأخرى ؟ وهل يعدو « العمل » في التعليم الثانوي « اللهو والفراغ » عند أغلبية الطلبة الساحقة ؟؟

٣ — الصعوبة القائمة

وهناك فضلاً عن ذلك صعوبة كبرى هي قبول المدارس الثانوية لعدد عظيم من الطلبة لا تستطيع أن تقبله فيما بعد الجامعة والمدارس العالية لأنها لا تتسع له . ويقول بعض حضرات النظار إن حوالى ٣٠٪ من طلبة البكالوريا يقعون في هـذا المشكل ، ويعضون حياتهم في يأس وقنوط وألم وشقاء . وإذاً فإما أن ينقص عدد الملتحقين بالمدارس الثانوية حتى يستطيعوا أن يجدوا لهم منفذاً في التعليم العالي ، وإما أن يصبح التعليم الثانوي نفسه غاية ووسيلة معاً لا وسيلة تعد الناشئ للجامعة فحسب . والحل الثاني أليق بمصر ، لأن خمسا وعشرين مدرسة ثانوية للبنين ، وسبعا أخرى للبنات ، ليس بالعـدد الكثير على بلد سكانه خمسة عشر مليوناً ! ! وإذاً فلننظر فيما ينبغي أن يكون عليه هذا التعليم :

٤ — الإصلاح المنشود

ينبغي أولاً أن يسود فيه الشعور بأنه إعداد للحياة لا للدراسة العليا فحسب . ويتأتى ذلك فيما يرى الدكتور جاكسن بوضع أساس عملي لا يجني على « كيف » التعليم فيه ، وذلك بأن ندخل فيه الزراعة والطباعة وأشغال الخشب والحديد على نحو « جدي » مع تعديل المقرر أو بالأحرى تخفيفه تخفيفاً مناسباً . فمثلاً في السنتين الأولى والثانية : عشرون درساً للغات من أربعة وثلاثين ، ودرس رسم واحد ، ودرس أشغال لا يقوم به إلا قلائل لا يفيدون . فماذا يمنع من استعمال اللغـة في تجارة عملية بدلا من قصرها على هذه الحصص الكثيرة التي لا تؤدي بالطالب بعـد تسع سنوات إلى القدرة على كتابة خطاب تجاري صحيح النحو مستقيم المعنى؟[1] وماذا يحول بين الطلبة وبين جمعهم لحروف مجلتهم وطبعهم لهـا بأنفسهم ؟؟ ولم لا يزرع الطلبة حديقة المدرسـة ويسهرون على تهذيب أغصانها وإروائها بدلا من رجل واحد تعينه المدرسـة لهذا الشأن ؟ وكيف يتكلم المدرس عن الذباب وخطره والمدرسة ذاتها لا تعمل على منعه من دخول الفصل ؟؟

هذا من ناحية ، ومن ناحيـة أخرى يجب أن يعنى التعليم بغرس الروح الاجتماعية عن طريق « دراسة المشروعات » والجمعيات العلمية والرياضية والفنية التي تسودها روح التعاون والمحبة والتضحية واحترام القانون[2] ، ويجب أن يتاح للمدرس من الوقت ما يساعده على الاشراف التام على أعمال هذه الجمعيات و « العيش » فيها كمرشد حكيم ؛ هـذا مع غرس السرعة والابتكار والذوق في نفوس الطلبة تلبية لحاجات «رجال الأعمال» الذين يريدون كل حاضر البديهة ، حكيم التصرف ، جميل الذوق وديع المحضر ، مطيعاً للقانون !

٥ — التوجيه المهني

ثم لا ينبغي أن يقف الأمر عند ذلك . إن مصر لفي حاجة كبرى إلى توجيه أبنائهـا توجيهاً سليماً يتفق وميولهم النفسية ، ويضمن على الأقل نجاحهم في عملهم وثقافتهم إن لم تقل نبوغهم فيها . والشبان عندنا لا يطرقون أبواب المدارس المختلفة جرياً وراء إشباع ميولهم الشخصية بقدر ما يطرقونها تحقيقاً لمطامعهم القاصرة في مهن محترمة كالقضاء أو الطب أو المحاماة ! أليس عندنا من يدخل الحقوق ليكون نائباً أو وزيراً ، ثم يفشل أخيراً في

(١) وهم يدخلون في أمريكا الكتابة على الآلة مع دراسة اللغة نحواً وهجاء فيقومون بثلاث عمليات في عملية واحدة

(٢) وفي المدارس أساليب من هذا النشاط كثيرة ، ولـكن ما يزال ينقصها الروح الاجتماعي الصحيح بحيث تكاد تكون قشوراً أكثر منها لباً

موقفه أمام القاضي ويخاطبه كما يخاطب التلميذ الأستاذ؟(١) أليس عندنا من يدرس الفلسفة ليدعى فيلسوفاً، ثم لا يكون بينه وبين الفلسفة الصحيحة إلا هوة سحيقة من الجهل والاعوجاج؟ كم من مئات الحقوقيين قد أثبت له قدراً في عالم القانون؟ وكم من خريجي التجارة أو الهندسة قد سجل لبلاده فخراً في مجال دراسته الخاصة؟ إنها إذاً لآفة كبرى يجب علاجها علاجاً علمياً صحيحاً ينحصر فيما يسمي الآن « بالتوجيه المهني! » ويستطيع الأستاذ في ذلك التوجيه أن يدرس ميول الطالب الحقيقية لا الوهمية أو المصطنعة، وأن يقدم له النصح والإرشاد على أساس هذه الدراسة يستطيع أن يختبر ذكاءه وميله الأدبي أو الفني أو العلمي باختبارات خاصة يجرونها الآن في أوربا وأمريكا؛ ويستطيع أن يلاحظه ويدرسه عن كثب طيلة أعوام الدراسة ليضم إلى نتائج هذه الاختبارات درايته الشخصية؛ ويستطيع أن يقول له أخيراً عليك بالآداب أو الحقوق أو الطب أو الصناعة أو التجارة، لأنك لا تليق ولا تنبغ، ولا توفق ولا تسعد، إلا في ذلك الذي دلتني عليه دراستي العلمية وخبرتي الشخصية؛ ثم يستطيع باتصاله بذويه أن يسدي لهم النصح في مستقبل ولدهم حتى لا يقفوا عثرة في السبيل كما أراد لي والدي يوماً أن أدرس « التجارة » وأنا لا أهضم « الحساب » على الاطلاق!، وأخيراً يستطيع الناظر عملا برأي الأساتذة أن يزود تلميذه بخطاب خاص يحمله كشهادة محترمة لرؤساء المعاهد أو الأعمال التي يريد أن يطرقها كيما يكون « واسطته » فيها...

وبذلك وبغيره نوجد أعمالا للعاطلين، وتوفيقاً ونبوغاً للمتعلمين!...

« يتبع » محمد حسني ظاظا

مدرس الفلسفة بشبرا الثانوية الاميرية

---

(١) ويرجع جلوس المثقفين عندنا في المقاهي وانحرافهم الخلقي إلى أسباب أهمها أن المدرسة لم تحببهم في العلم للعلم، وأنهم لم ينشدوا مهنتهم عن ميل صحيح فيهم، وأنهم يلقون في عملهم اليومي ما ينفرهم من الاشتغال في فراغهم بما يفيد، وهذه الأسباب جديرة بكل إصلاح لأن العمل إذا لم يقم به الانسان وهو محب له كان مصدر شقاء وانحراف لصاحبه، وترجع أغلب أعمال الموظفين الفاشلة إلى هذا النوع من العمل البغيض.

إبراهيم بك المويلحي

١٨٤٤ - ١٩٠٦

بقلم حفيده ابراهيم المويلحي

تتمة ما نشر في العدد الماضي

ثم سافر إبراهيم بك إلى باريس سنة ١٨٨٤ م وحرر العدد الرابع من جريدته « الاتحاد » بعد صمت أربع سنوات وطبع منها أعداداً كثيرة، وكانت أشد لهجة من أخواتها فاستشاط السلطان غيظاً وحنق على إبراهيم حتى أنه أرسل إلى « أسعد باشا » سفير الدولة العلية في باريس بمذكرة مستعجلة يريد بها إبلاغ رغبته إلى الخديو إسماعيل بأن يأمر سكرتيره « إبراهيم بك » بالكف نهائياً عن إصدار جريدة « الاتحاد » المحررة تحت رعاية سموه

فلما تفاوض « أسعد باشا » مع الخديو أعلمه بأن لا يد له فيها مطلقاً وأنه بريء من تلك الظنون. فما كان من السفير العثماني إلا أن طلب من الحكومة الفرنسية، بناء على رغبة السلطان، نفي المترجم له من فرنسا

ولما كان هذا النفي غير مسبوق بأي محاكمة فقد انبرى المسيو بود دي مورسلي Baude de Maurceley يدافع عن إبراهيم ويستنكر وقوع مثل هذا الإجراء ويأخذ على وزير الداخلية الفرنسية تسليم إبراهيم لأسعد باشا بهذه السهولة، في مقال نشر في حينه في جريدة « الفيجارو » عدد ٣٣١ سنة ١٨٨٤ م اختتمه بقوله: « إني أسأل بصراحة المسيو ولدك روسو Waldack Rousseau عن الضرر الذي يسببه وجود إبراهيم بك في باريس. أم هل فقد بلدنا الجمهوري « حق الاقامة » فيه وأضحى غير قادر على منح الضمان الكافي للمحكوم عليهم سياسياً! وإلا فما هو الأمان الذي يمكن أن يجده عندنا كل غريب فقد حق التمتع بمصالح بلده؟ ألا يظن حضرة وزير الداخلية أنه من السذاجة أن تنال بسهولة وبدون محاكمة إبعاد صحفي فرنسي غير راض عن سياستنا الحالية من استانبول أو لندرة مثلا، لأنه يصدر جريدة عدائية هناك؟! »

إن القبض على إبراهيم بك ونفيه بدون محاكمة لا يعد فقط عملاً استبدادياً ، بل أمراً منكراً ربما استحق الاستجواب عنه في البرلمان »

فلما رأى إبراهيم بك نفسه مرغماً على ترك فرنسا بأمر السلطان ، سافر تواً إلى « بروكسيل » فكتب إليه السيد جمال الدين الأفغاني لما كان بينهما من روابط الصداقة أيام كانا في مصر ، يشير عليه بالتوجه إلى لندرة ليتحدا في الدفاع عن حقوق الأمة ونصرة الدين . فاستصوب إبراهيم هذه الفكرة ولاسيما أنه كان غيوراً على دينه ، شديد الحب لوطنه . فأبحر إلى « لندرة » وتسنى له التعرف هناك باللورد تشرشيل واللورد سالسبوري وأخذ يعاون السيد جمال الدين في تحرير « العروة الوثقى » وأنشأ لنفسه جريدة « الأنباء » ثم « عين زبيدة » وأفاض فيهما ولاء خالصاً للسلطان ، وأظهر حرصاً على صيانة الدولة بانتقاده الشديد لسياسة غلادستون نحو الدولة العلية في ذاك الوقت

وبلغ مسامع السلطان عبد الحميد أمر هاتين الجريدتين فسر من خطة إبراهيم هذه وأرسل إليه يستقدمه بواسطة سفيره في لندرة

ولما كان إبراهيم بك لا يتوقع هذا العفو السريع سنة ١٣٠٣ هـ — ١٨٨٥ م ظن أنها مكيدة من السلطان ليتمكن بها من الانتقام منه ، فامتنع عن الذهاب إليه ، وكلف ابنه السيد محمد بك المويلحي — الذي كان بصحبته في انجلترا — السفر إلى استانبول ليستطلع جلية الأمر

فتوجه محمد بك إلى الآستانة عن رغبة والده ، وأرسل إليه خطاباً يطمئنه فيه من جهة السلطان

فدخل إبراهيم بك الآستانة وكتب إلى جلالة السلطان الخطاب الآتي يشكره فيه على عفوه عنه ويعتذر عن تأخره في المثول بين يدي جلالته : « المعروض على سدة أمير المؤمنين ، وخليفة رسول رب العالمين ، أن العبد لا يصف عفو أمير المؤمنين إلا كما قيل لأخ جلالتكم في الخلافة المعتصم العباسي : « لو علم الناس ما تجدون من اللذة في العفو لتقربوا إليكم بالذنوب » . والحمد لله على تلك النعمة التي أسداها أمير المؤمنين لعبده الصادق . وإنما كان تأخيري عن التشرف بسدة الخلافة لأمور هامة في فائدة الدولة والملة قد تم بعضها . وإني ألتمس أن أعرضها على ذات مولانا المقدسة حفظها الله للإسلام »

وبعد أيام طلب السلطان مثوله بين يديه ، فأكرم مقابلاته وعينه عضواً في مجلس « انجمن المعارف » سنة ١٣٠٣ هـ — ١٨٨٥ م . وكان ناظرها وقتئذ العالم الجليل المغفور له صاحب الدولة منيف باشا ، فقدر إبراهيم حق قدره ، وقربه إليه وعرفه بالشيخ الشنقيطي اللغوي الشهير

وتصادق المترجم له مع إبراهيم بك أدهم صاحب جريدة « الحقائق » التي كانت تصدر في استانبول ، فكان ينشر فيها وصف جلال الموكب السلطاني في كل مرة يذهب فيها لتأدية فريضة الجمعة

ومكث إبراهيم بك في وظيفته هذه عشر سنوات تقريباً من سنة ١٨٨٥ هـ — ١٨٩٥ م . حدث في أثنائها أن كتب بعض الجواسيس إلى السلطان عبد الحميد تقريراً جاء فيه أن إبراهيم بك لا يزال يراسل الجرائد في مصر خفية بما لا يتفق وسياسة السلطان ! فما كان من جلالته إلا أن أرسل إلى صاحب المطوفة « كامل بك » ناظر الضبطية لاستجواب صاحب الترجمة والتحقيق معه فيما وصل إلى السلطان

ولقد كان هذا الجاسوس صادقاً في تقريره . وهكذا كانت خطة إبراهيم بك في جميع مراحل حياته السياسية لا يعرف التملق ولا التزلف ، ولم تحِدْه تلك الرتب والإنعامات الشاهانية عن طريقته المثلى في حبه لمصلحة البلاد والدفاع عنها وانتصاره لها

وقد رأي شطط السياسة من جراء ما يزينه المتلفون حول عرش جلالته ، فأخذ ينشر مقالاته الانتقادية في المقطم ، وكان يذيلها بأمضائه المستعار : « أحد العثمانيين الأفاضل »

وكان إبراهيم بك في اليوم الذي قبض عليه فيه يحمل مسودة مقالة كان يريد نشرها ، فأسقط في يده وأخذ يجهد فكره في التخلص منها بأية وسيلة ! واتفق أن كان الناظر في هذه الساعة مشغولا بتحقيقات أخرى — وما أكثر التحقيقات في الآستانة — فأمر بأبقائه في غرفة تجاور غرفة التحقيق ريثما ينتهي من استجواب الذين بين يديه

ففكر إبراهيم بك ، وهو المنعزل في الغرفة ، أن يتخلص من

المقلة التي في جيبه خشية تفتيشه ، فهم بحرقها ، فحدثته نفسه أن رائحة الدخان قد تبعث الشك في إدانته ، كما خشى تمزيقها خوف وصول بعض وريقاتها إلى يد بعض الجواسيس المنتشرين بدار الضبطية . وبينا هو في شغل شاغل إذ سمع صياح ديك فنظر حوله فرأى نافذة صغيرة بحواجز حديدية ، ففتح زجاجها وأطل من بين قضبان النافذة فرأى ذلك الديك وحوله أفراخ كثيرة ينقرن في الأرض بحثاً عن القوت ؛ فما كان منه إلا أن أخذ يقطع الورقة قطعاً صغيرة ويضعها في فمه حتى تمتزج بلعابه فيمضغها حتى تصير على شكل الحب ثم يرمى بها إلى الأفراخ فتتسابق إلى ابتلاعها حتى أتت على آخرها ، وأغلق النافذة وحمد الله

وبعد ساعة تقريباً اقتيد إبرهيم بك إلى غرفة التحقيق وابتدىء بتفتيشه فلم يعثروا على شيء ، وبعد مناقشات طويلة أسفر التحقيق عن براءته مما جاء في تقرير الجاسوس ، وطير الخبر إلى جلالة السلطان فأمر باستدعائه إلى « المابين » ، وأنعم عليه بالرتبة الأولى من الصنف الثاني سنة ١٣١١ هـ — ١٨٩٣ م . وصاحبها يلقب « بسعادتلو أفندم » وهي توازي رتبة الميرميران الملكية التي يلقب صاحبها بلقب « باشا »

وفي نفس هذه السنة قدم الخديو « عباس الثاني » ومعه بعض الوجهاء من المصريين لزيارة الآستانة والتشرف بمقابلة جلالة السلطان « لعرض الشكر والعبودية على أعتاب الخلافة السنية » فرأى ابراهيم بك من واجبه كمصري مقيم في استانبول أن يتشرف بمقابلة سمو الخديو عباس ، فذهب إلى القصر الكائن « بدفتر دار بروني » الذي يقيم فيه سموه ، ولكن « محمود باشا شكري » أشار على سمو الخديو عباس باشا الثاني لشيء في نفسه من جهة إبراهيم أن يمتنع عن مقابلته تجنباً لخطره وسطوة قلمه . فسوّف الخديو تحت هذا التأثير مقابلة إبراهيم الذي خرج حانقاً والشرر يتطاير من عينيه !

ولما كان يعلم أن جلالة السلطان سيدعو سمو الخديو والوفد الذي جاء معه إلى سراي « يلدز » مرت بخاطره فكرة جهنمية يستطيع بها تحريك غضب عبد الحميد عليهم أجمعين ! فحرر عريضة من تلقاء نفسه اختلقها اختلاقاً ، كأن هؤلاء الوجهاء يرومون رفعها إلى الأعتاب الشاهانية وبعث بها إلى المقطم فنشرها ، والتقطتها التلغرافات الأجنبية وترجمتها الصحف الإنجليزية وعلقت عليها ما شاءت أن تعلق ، وذهب سفير انجلترا في تركيا بأمر من رئيس الوزارة الانجليزية إلى الصدر الأعظم ليستفسر عما أجاب به السلطان على هذه العريضة التي قد تسبب توتر العلاقات بين بريطانيا العظمى والدولة العلية

فحدث من جراء هذه العريضة أن امتنع السلطان عن الإنعامات التي كان يرغب في الإنعام بها على من كان بمعية سمو الخديو كما هي العادة في مثل هذه الظروف ، إرضاء لخاطر انجلترا حتى لا تعتقد أن لهذه العريضة أثراً في نفسه

وإليك صورة هذه العريضة بعد ديباجة الحمد والثناء :

« إن الله عز وجل نظر إلى العالم نظرة رحمة فاختارك يا أمير المؤمنين من بين البرية خليفة على عباده ، وجمع فيك شرائط الخلافة وبسط لك من القوة والسطوة ، وآتاك من الحزم والعزم وأصالة الرأي ما يفتخر به هذا العصر على سائر الأعصار ، وقرن طاعتك بطاعته وطاعة نبيه في كتابه العزيز ، وجعل حبك إيماناً والخروج عن أمرك مروقاً من الدين ، وحبب إليك الإقدام لمصلحة الإسلام . دأب الخلفاء السابقين ، وأودع في يديك أرواح المسلمين وأموالهم تحكم فيها عن رضى وتسليم منهم . وقد عاهدوك على بذل دمائهم في طاعتك بأيمان البيعة التي ربط الله بها لك القلوب على المحبة في خلواتها ونجواها

فالمسلمون كلهم قاصيهم ودانيهم مجمعون على الانقياد لك في السر والعلانية لا يميل بهم عن هذه السنن قول ولا فعل لتوقف سعادتهم على طاعتك في الدنيا والآخرة

هذا ما جعل الله لك يا أمير المؤمنين ، وقد جعل لهم بهذا من جانب جلالتك أن تكلأ بيقظاتك بلاد الاسلام بعيدها وقريبها من طوارئ السوء وغوائل الشر على نسق واحد لا فرق بين مطلقها وممتازها ، وأن تدفع عنها كل صائل ومحتال ، وأن تذود عنها بالحجة والسيف والقلم وما يمكن أن يدافع به مادياً ومعنوياً

هذه مصر — أيد الله بك مقام الخلافة ، وثبت بك أركان السلطنة ، ونصرك النصر الوشيك — فريدة التاج العثماني ، والقسم الأكبر من السلطنة السنية والطريق الأعظم إلى الحرمين الشريفين . قد أصبحت تمد يد الفزع الصارخ إلى عظمتك ، وتنظر كالمغشي عليه من الموت إلى حياتها في يدك الكريمة ؛ فامنن

عليها بالحياة يا أمير المؤمنين ، وخلصها ممن تجاسر على حوزة الإسلام بلا حجة ولا قوة ، وفى يد جلالتك الحجة والقوة ، وهذه أرواحنا رهينة ثلاثة أحرف من عظمتك ، فأمرنا بما تريد لتخلص الاسلام المتخبط فى تلك الأشراك . وقد بقينا يا أمير المؤمنين سنين عدة معلقين لا ندرى أنحن تحت حكم الخلافة والسلطنة السنية فتطمئن قلوبنا ، أم تحت حكم هذا الذى دخل فى يوم على وعد أن يخرج فى غده فبقى إلى الآن تخفق راياته على مساجد المسلمين فى بلد هى عش الأولياء ومرقد آل البيت النبوى ومجد جدك السلطان سليم خان ؛ فطفق هذا الداخل يستهوينا باسم الحرية التى لا توافق قيودنا الدينية ولا عاداتنا الأدبية فمال إليه جماعة منا ، ويوشك إن استمر فى سيره أن يفسد الحاسيات والأخلاق بهذا التساوى المخالف للتفضيل الإلٓهى

فالآن قد وفدنا على دار الخلافة مع سمو وكيلك المطبوع على محبة جلالتك ، المفتخر بنظرات الرضى عليه من ألطاف عظمتك ، الواقف موقف السمع والطاعة لأوامرك ، راجين من السدة السنية إجراء الوسائط الفعالة لإخراج هذا الداخل على وطننا وإبعاده عن الأراضى المقدسة التى يدأبون على التدخل فيها ، فانهم إذا استمروا — لا قدر الله — فى البقاء بمصر سهل عليهم الدخول فيها وفى غيرها لطبيعة الموقع

ونسأل الله أن يؤيد جلالة مولانا الخليفة الأعظم وينصره على الباغين »

وفى أوائل سنة ١٨٩٥ م سئم العيشة فى جو استانبول المكتظ بالجواسيس المختنق بالفتن والوشايات وشعر بالحنين إلى وطنه بعد طول الغربة . فعزم على الرحيل إلى مصر ودبر طريقة سفره فى الخفاء على باخرة بخارية قادته إلى الاسكندرية

ولما علم جلالة السلطان عبد الحميد بخبر اختفائه وسفره إلى مصر بدون أن يقدم استقالته ، بعث يستعلم بواسطة « مختار باشا » المندوب فوق العادة للباب العالى عن السبب الذى جعل ابراهيم بك يترك وظيفته فى « أنجمن المعارف »

فأبدى إبراهيم أسفه لمختار باشا وأفهمه أن قدومه إلى مصر إنما هو من باب الحنين إلى الوطن والشوق إلى رؤية ابنيه « محمد » و « خليل » ، وأنه لا يدرى كيف يشكر السلطات على نعمه

ولما كان ابراهيم بك مشغوفا بالتحرير أخذ ينشر فى المقطم من وقت إلى آخر مقالاته الانتقادية فيما رآه فى الآستانة العلية مدة إقامته فيه تحت عنوان « ما هنالك » ثم جمعها وطبعها كتابا سنة ١٨٩٦ ميلادية . فبعث السلطان عبد الحميد بأمره بارسال جميع النسخ التى فى حيازته إلى « المابين » ؛ فخضع ابراهيم لأمر جلالته وأرسلها جميعاً إليه ماعدا بضع نسخ كان قد وزعها على عائلته وأصدقائه . لذلك يندر وجوده

وفى سنة ١٨٩٨ م أنشأ جريدة أسبوعية سماها « مصباح الشرق » وقفها على خدمة الأدب ونصرة الدين والدفاع عن حقوق الدولة العلية . وكان يعاونه فى تحريرها ابنه السيد محمد بك المويلحي . وكان طلاب الأزهر يقفون على باب المطبعة الساعات الطويلة ينتظرون صدور أعدادها بفارغ الصبر ، وكانت تباع بقرش صاغ واحد ، وكان يعز مطلبها فى اليوم الثانى من صدورها حتى كانت تشترى بخمسة قروش

وكان ابراهيم بك يسافر من وقت إلى آخر للآستانة لعرض ولائه على الأعتاب الشاهانية ، وليتسنى له الاطلاع بنفسه على ما فى الجو السياسى من أخبار ، فكان فى كل مرة يعود مثقلا بالانعامات والعطايا حتى نال « الرتبة الأولى من الصنف الأول » وصاحبها يلقب « بسعادتلو أفندم حضرتلرى » وهى توازى رتبة « روم ايللى بكلربكى » الملكية . لكنها تتقدم عليها فى التشريفات

وقد نال حظوة عليا لدى حضرة صاحب السمو الخديو عباس الثاني حتى إنه كثيراً ما كان يكلفه بأعمال سياسية هامة ، فكان يقوم بها خير قيام فنال بذلك ثقته . ولم يقف دون رغبة سموه إلا مرة واحدة غضب عليه فيها بضعة أشهر ثم رضى عنه فكتب إليه الخطاب الآتى :

« قد وضعنى ولى النعمة فى بودقة الامتحان وأوقد علىّ بنار غضبه زماناً طويلا كما اقتضته حكمته ، حتى إذا صفانى وخاف على أن أحترق نقلنى كما اقتضته رحمته وسمته . فأشكر ولى النعم شكرين : شكراً على تصفيتى وتهذيبى ، وشكراً على رضاه عنى

وقد بعث الله لنبيه الملكين جبريل وميكائيل فشقا صدره صلى الله عليه وسلم ، وأخرجا ما يكون بناموس الطبيعة فى قلوب البشر ، ثم ختماه على الحكمة . وكذلك فعل ولى النعم : بعث

إلى عبده[1] فأصبح قلبي مختوما عليه بطابع الإخلاص والقيام بفروض الخدمة لدرجة التفانى فيها . فلو ذوبونى لم يجدوا فى تركيب صدري إلا ثلاثة أشياء : الوفاء والدعاء والولاء ، لولى النعماء

كل هذا انتهى وتم على موجب الحكمة العالية حكمة ولى النعم الذى اعتنى بتربية عبيده على هذا الأسلوب الحكيم .

نخدمة الأعتاب السنية هى قبلتى التي أوجه وجهى إليها ، وأصرف عزمي إليها . وهذا اعتقادى وهذا قولى وهذا خطى على ذلك والله شاهد ووكيل »

وفى سنة ١٩٠٣ كف عن إصدار الجريدة فجأة ! وهكذا كان إبراهيم بك يعطل كل جريدة ينشئها إذا نال منها غرضه

وكان يرسل فى بعض الأحيان بمقالاته السياسية إلى بعض الجرائد كالمؤيد والمقطم عند ما كان يرى أن حقاً للأمة هضم

ثم أنشأ جريدة « المشكاة » باسم ابنة « السيد خليل بك المويلحى » و « حمدى بك يكن » ولم يصدر منها إلا أربعة أعداد فقط سنة ١٩٠٥ . وفى أواخر سنة ١٩٠٥ اعتلت صحته فاعتزل السياسة ليعالج مرضه حتى وافته المنية في ٢٩ يناير سنة ١٩٠٦

***

ولقد كان المرحوم سريع الخاطر ، طيب اللسان ، شديد الميل إلى النقد والمداعبة لا يفرق فى ذلك بين قريب أو صديق حتى قيل فيه : « لم ينج من قوارص قلمه إلا الذي لم يعرفه »

وكان سريع الفهم ، قوى الاحاطة بخفايا الأمور ، وغوامض السياسة ، ولقد تقلب فى أعمال كثيرة بين تجارية وحكومية وصحافية وسياسية ، لكنه لم يبلغ الهدف الذى كان يرمى إليه فى كل واحد منها مع شدة ذكائه وحدة ذهنه . ولعل السبب فى عدم ثباته هذا يرجع إلى طموحه إلى النجاح السريع ورغبته في بلوغ الدرجات العلى طفرة واحدة ، فانه لو ثبت فى عمل واحد لبلغ أوجه

ويجمل بنا أن نقول قبل أن نختم ترجمته إنه كان مشغوفاً بتعلم اللغات الأجنبية حتى حذق التركية ومهر فى الفرنسية وتعلم الانجليزية في آخر سنى حياته عليه رحمة الله

ابراهيم المويلحى

(١) هو أحمد بك الفريس

أبى ! !

للأديبة بهية فرج الله زكى

أبى ! سلاماً من وراء دجلة ! سلاماً عليك من قلب وحيدتك ! سلاماً من قلب جزيع ! سلاماً على الروح السابح فى لجة الأبد ، سلاماً على الجسد الهامد فى التراب !

أبي ! لقد مات أبى ، وطار البرق الحزين ينعى بقية الأمل إلى القلب الحزين .. مات أبي ، وفى مصر خمدت جذوة حياته الذاكية ، فانطفأ في العراق مصباح رجائى المشتعل .. مات ، وقد كان وهو حى رسول البسمات إلى الثغور ، فأصبح وقد مات رسول الدموع إلى العيون

أبى ! حتى فى ساعة الموت لا أراك ! وفى ساعة الوداع لا أطبع على جبينك القبلات ، وفى ساعة الرحيل إلى المثوى البعيد ، يحول دونى ودونك البحر المائج والبلد السحيق !

أبي ! يا منى النفس ، ويا روحا ضاقت بها حدود الأرض فطلبت فسحة الحياة فى السماء . لماذا استسلمت للكرى فنمت نوم الأبد ؟ لماذا تركتنى وحيدة وكنت بك جماً لا يخذل . . صوتى يملأ الفضاء ، وتجاوب أصداءه الأرض والسماء . ولكنى لا أسمع جواباً ، فأين أبى ؟

أبى ! كنت تستلهم السماء خبر الغيب ، فهل قرأت فى لوح الأجل موعد هجرتك من دنياك الفانية إلى عقباك الباقية ، فبكيت حين تحرك بى القطار ، وأنت الرجل الجلد الذى يسخر بالعواصف ، وجريت مع القطار وأنت الرجل الرزين الذى تخضع جوارحك أبداً لعقلك الكبير ، وأتبعتنى النظر الحائر وما حيرك الدهر المضطرب بالحادثات ... بلى لقد أحسست بالموت فكتمت سر الموت عن الأحياء

أبى ! لأنك تحب العراق آثرت الرحيل إلى العراق ؛ البلد الذى لم تبخل عليه بفلذة كبدك ، البلد الذى خلت فيه حياة خصيبة لأملك الروحى ... فلماذا تركتنى فى وطن قلبك ونزحت أنت إلى وطن الخلود

التاريخ في سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

— ٨ —

يا شباب الوادى ! خذوا معانى العظمة فى نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامى العظيم

نجح لنكولن فى الانتخاب ، فظفر بمقعد فى المؤتمر ظل ينزع إليه سنوات أربعا طويلة ؛ وكان هذا النجاح كفيلاً أن يبث فى قلبه من الغبطة والبهجة بقدر ما بثه فيه الانتظار الممل من السأم والضجر ، ولكنه كتب إلى صديقه سبيد ينبئه أنه لم يهتز كثيراً للنجاح كما خيل إليه قبل أنه فاعل إذا ظفر . وتلك حال من حالاته العجيبة ، بل هي حال من حالات النفس البشرية تدعو إلى العجب والاعتبار ! فكثيرا مايتمنى المرء ما ليس فى يده حتى لتكون سعادته كلها مجتمعة فى أن ينال ذلك الذى يتمناه ، فإذا اقترب من بغيته أو شبه له أنه مقترب راح يطفر من الفرح ، ورأى فى كل شىء حوله معانى الحبور والغبطة ، وإذا بعد عن ضالته أو خيل إليه أنه مبتعد ، ضاقت فى وجهه الدنيا وبات من همه كأنه فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج ؛ حتى إذا قدر له آخر الأمر أن يرسو على الشاطئ وأن يلمس بيده مبتغاه وقف حياله وقفة من لم يجد شيئاً ، وفتح عينيه على الحقيقة كمن يفيق من حلم ذابت ألوانه وتلاشت أطيافه وتبددت رؤاه ... ذلك هو غرور الحياة ، ولكن ما ألذه من غرور ! وما الحياة فى جلتها إن هى خلت من هاتيك الأحلام ؟

وانقضى عام بين نجاحه وذهابه إلى المؤتمر . ولقد صحبته زوجه إلى وشنجطون العظيمة ، وزارت البيت الأبيض ، ولعلها كانت تحدث نفسها فى زهو أنه في غد مقر بعلها . ومشى ابن الأحراج فى المدينة تستوقف الأبصار هيئته إذ كانت لا تزال روح الغابة تصحبه كأنما هو نوع من الشجر جىء به إلى غير منبته ... وسرعان ما أنس الناس به ، فهم إذا جلسوا إليه يشعرون أن روحاً قوياً يسرى إليهم منه وإن لم يتبينوا ما هو ؛ وكذلك أخذت تطل عليهم نفسه فى فيض من قصصه ...

أما فى المجلس فقد كان أول الأمر بحيث لا يحسب أحد أنه سيكون يوماً من النابهين ، ولكنه ما لبث أن بدد هذا الزعم بخطاب احتفل له وجعل له كثيراً من الأهمية ، يتبين لنا ذلك فيما كتبه فى هذا الشأن إلى صديقه هرندن ؛ وكان الخطاب يدور حول الحرب القائمة في تكساس ، وجه فيه لوماً عنيفاً إلى رئيس الاتحاد أن خرج بهذه الحرب عن الدستور كما فرط بها فى جانب العدالة والخلق

قال لنكولن : « ليذكر الرئيس أنه يجلس حيث كان يجلس وشنجطون ، وليجب إذا ذكر كما كان يجيب وشنجطون ، وكما أنه لا يليق بأمة أن تهرب من الحق ، والله لا يسمح أن يُهرب منه . كذلك ليتجنب الرئيس الهرب والمراوغة ؛ فإذا استطاع بعد ذلك أن يقيم الدليل على أن الأرض التى سالت عليها الدماء أول ما سالت هى أرضنا فإني موافقه فيما يسوق من مبررات . ولكنه إن عجز عن ذلك أو أحجم عنه فإنى حينئذ خليق أن آخذ على اليقين ما يقوم فى نفسى فعلاً مما هو أكثر من الظن ، فأرى أنه يشعر بخطئه ، وأنه يشعر أن الدم الذى سال فى تلك الحرب هو كدم قابيل يستصرخ السماء ضده »

أبى ! لن أنسى ما حييت رسالتك ، رسالة المحبة والسلام ، وسأظل ذاكرة إلى الأبد ما سطرته إلى يدك وأنت تعالج الموت : « عاشرى الناس بروح المحبة . كونى قدوة حسنة ، ارفعى الفوارق الموجودة بين الناس . . . إننا كلنا أوراق أغصان شجرة واحدة . . . »

أبى ! سأعيش كما عشت بهذه المبادئ ، وسأموت لها . وإذا كان الوفاء هو دين الميت على الحى ، فان دينى الذى لا أمطله جهاد كجهادك ، ودعوة إلى الحب كدعوتك ، وذكرى طيبة ترضيك ، وعمل فى سبيل الانسانية يرضى الله

أبى ! سلام عليك فى الذاهبين ، سلام على قبرك بين قبور المخلصين ، سلام علي وحيدتك الجريحة ، سلام على بغداد التى أحببتها وسأحبها من أجلك !

بهيجة فرج الله زكى
مدرسة بمدارس العراق

ولكن تلك الحرب كانت فى نظر الناس أمراً مستساغاً لأنها ستضم إلى الولايات أرضاً جديدة ، كما أن جيوش الولايات كانت ظافرة فيها . من أجل ذلك لم ينل ابراهام بخطابه من الرئيس ، كما أنه لم يظفر بتأييد أو قبول من جانب زملائه . ولقد أحس هو بضعف موقفه ولهذا جعل الأمر فى المهاجة أمر خلق لا أمر سياسة ؛ وأخذ يندد بضم تكساس على رغمها ويستنكر ذلك الفعل على الأخص أن كان صدوره من دولة تدعو إلى الحرية وتباهى العالم بأنها أرض الحرية

وكان مما جاء فى ذلك الخطاب قوله : « إن من حق أية أمة فى أية جهة إذا أحست فى نفسها الميل واستشمرت القوة أن تثور فى وجه الحكومة القائمة وتعصف بها ، ثم تقيم بعد ذلك من الحكومات ما يكون أكثر ملاءمة لها » . وإنا لنراه بذلك يجعل للثورات صفة شرعية ، كما أننا نفهم من هذا المبدأ مبدأ آخر جاء ضمنه ألا وهو مبدأ سلطة الأمة ووجودها فى أساس كل سلطة !

تلك هى خطبة لنكولن التى احتفل لها وافتتح بها عمله فى المؤتمر ؛ تراها وإن لم تصب بموضوعها موضع العطف من نفوس أعضاء المؤتمر ، قد رفعت ذلك المحامى فى أعين رجال السياسة ، وعلم من لم يكن يعلم منهم مقدار ما أوتيه ابن الأحراج من قوة البادهة ومتانة الحجة وفصاحة اللسان ، ومقدار ما رزق من قوة الجنان ويقظة الوجدان ، ورأوا فيه إلى جانب القصاص الذى لا يبارى ، الخطيب الذى يعرف كيف يسحر السامعين وإن كانوا عن آرائه معرضين . !

وكم للتاريخ من مواقف تدعو إلى العجب ! فهذا لنكولن اليوم فى المؤتمر يندد بالحرب ، وقد تعاظمه سفك الدماء وإزهاق الأنفس ؛ وهذا لنكولن يقرر حق الشعوب فى اختيار ما ترضى من الحكومات ... ولسوف يتخذ أهل الجنوب فى غد من أقواله حجة عليه ؛ يوم يهمون بالانسلاخ من الاتحاد وهو يأبى عليهم ما يبتغون ، ويعمد إلى الحرب فيصليهم ناراً حامية ويسفك الدماء ويزهق الأرواح حتى يكرههم على الاتحاد وهم صاغرون !

وتهيأت له الأسباب ليسير فى البلاد فيزداد بالناس اتصاله ويستزيد منهم أعواناً له ومحبين . فلقد انتهت وهو فى المؤتمر مدة الرئيس القائم وأخذت البلاد تنتخب رئيساً جديداً ؛ وكان حزب الهوجز الذي كان أبراهام من أفراده قد رشح للرياسة أحد زعمائه ويدعى تيلور . وهل نسى إبراهام تيلور وقد كان رئيسه فى الحرب ضد الصقر الأسود ؟ على أنه على الرغم من محبته لتيلور يأسف أن يراه ممن يتملكون العبيد على نمط أهل الجنوب ... ولكن لا ضير الآن فهو ممن لا يريدون أن تزداد ولايات العبيد ، كما أنه أقل من منافسه من الحزب الديمقراطي تشيعاً لمبدأ اعتناقه العبيد وأضعف منه استمساكا به ...

أخذ لنكولن يجوب البلاد شرقاً وغرباً ويخطب فى الناس مؤيداً رجل حزبه ؛ فكان إذا قام فى جماعة لم يروه من قبل جذب إليه الأنظار بطول قامته وغرابة ملامحه ، فإذا أطلق العنان لكلامه سرت فى الجموع منه روح عجيبة لا يدرون كنهها وإن أدركوا فعلها ... ورأوا عينيه تلتمعان حتى ما يعرف الناس أنهم رأوا مثلهما قبل ، وأبصروا فى ملامحه معانى أبلغ من كل كلام ، وأعمق أثراً من كل حجة ... والخطيب ينتقل بهم من مثل إلى مثل ومن حكاية إلى حكاية ؛ ثم يرسل الجملة بين حين وحين ، فإذا هم يضحكون ملء نفوسهم ؛ وهو فى حماسته يشمر ردنى حلته ويفعل مثل ذلك بقميصه . ولقد يحل رباط عنقه أو ينتزعه من موضعه كأنه مقبل على مبارزة ! ولا يكاد يفرغ من خطابه حتى يهرع الناس إليه متدافعين بالمناكب لكى يزدادوا نظرا إليه من كثب ... وظفر تيلور بالرياسة ، وعرف لإبراهام يده وحسن صنيعه ...

وكان مما صادفه فى تجواله هذا أن استمع فى بوستن إلى خطبة من أقوى الخطب التى وجهت ضد امتلاك العبيد ، وقد ألقاها رجل من كبار الداعين إلي التحرير ، هو سيوارد ذلك الذى سيكون له فى غد شأن فى هذا الأمر مع لنكولن حين يهم بتأدية رسالته . استمع لنكولن إلى الخطبة فى بوستن واستشعرتها نفسه ، وكان مما عقب به عليها قوله : « أعلن أنك محق . لقد آن أن نطرق معضلة العبيد وأن نلقى إليها من اهتمامنا بأكثر مما كنا نفعل من قبل »

وفى عودته إلى وشنجطون أخذ يمضد حركة أخرى كانت موجهة ضد العبيد على يد داعية آخر من دعاة التحرير ، هو

ولمت الذى كان يدعو بكل قواه إلى منع انتشار العبيد فى الأراضى التى تستخلص من المكسيك ؛ وفى المؤتمر تقدم لنكولن يطلب القضاء على العبودية فى ولاية كولومبيا وفى عاصمة البلاد ، وكان فى مقترحه عادلا يجمع إلى العدالة الكياسة وبعد النظر ، ولكن ذلك المقترح وا أسفاه قد حيل بينه وبين أن يكتسب الصفة الشرعية إذ عمل رجال المؤتمر على تأجيله مخافة أن يثير من الجدل مالا يحبون ، حتى أوفى دور الانعقاد على الانتهاء فاعتذروا من عدم النظر فيه على الرغم مما بذله لنكولن من جهود وما أنفقه من حيلة ...

وانقضت أيام ذلك المؤتمر ، وهو المؤتمر الثلاثون فى تاريخ الولايات وعاد لنكولن وهو يخطو إلى الأربعين ليعيش من جديد فى سبرنجفيلد ...

عاد ابراهام الى سبرنجفيلد وهو يحس بينه وبين نفسه مرارة الهزيمة فى السياسة ، فلقد خذله رجال المؤتمر فى مقترحه كما رأينا وأعرضوا عن خطبته التى وجهها ضد الحرب فى تكساس ، تلك الخطبة التى لامه عليها الكثيرون من رجال حزبه حتى هرندن نفسه أحب أصحابه اليه

لذلك انصرف عن السياسة وعاد من جديد إلى المحاماة ؛ بيد أن رجال حزبه يزينون له أن يطلب منصباً رسميا ويشيرون إلى حقه فى ذلك وهو من جانبه لا يحجم فيطلب الى الرئيس أن يهيئ له منصباً ثم يزيد فيطلب منصباً معينا لا يلبث أن ينافسه فى السعى إليه آخرون حتى يفلت من يده ، ويريد الرئيس أن يجامله فيعرض عليه منصباً غيره ؛ ولكن زوجه تقف بينه وبين هذا المنصب ، وتصر على موقفها معلنة أنها لن تقبل لزوجها عملا يعود بهما إلى الأدغال حيث كان مقر ذلك العمل واحدا من تلك الأصقاع الداخلية ؛ ويرفض إبراهام المنصب آخر الأمر . وهكذا نرى زوجه للمرة الثانية حريصة على أن توليه القبلة التى لا ترضى له غيرها قبلة ..

وكانت المحاماة وظيفته الطبيعية إذا فرغ من السياسة الى حين ؛ فما باله يريد أن يتنكب طريقه ويستبدل بعمله عملا آخر لايتصل بطبعه ولا يستقيم مع خلقه ؟ ما باله يريد أن يحيد عن الغاية وقد قطع فى سيره اليها شوطاً ليس باليسير ؟ ترى ماذا كان يحدث لو أنه كان غير وجهته واتخذ له غاية غير غايته ؟ ولكن الدهر يضن به ويدخره لغد ويأبى أن يغير تاريخ قومه بطمس رسالته ...

عاد من السياسة الى المحاماة عودة ظن الناس معها أنه لن يقرب السياسة بعد ذلك ؛ وكان قد ترك العمل كله لصديقه هرندن ؛ وهو اليوم فى المحاماة أعظم خبرة من ذى قبل وأكثر معرفة بأحوال الناس وشئون حياتهم

وكان من أبرز صفاته سرعة ألفته للمواقف الجديدة فى حياته ، وترك مواضيها حتى تبعثها الأسباب . لذلك أقبل على المحاماة إقبالا لا يظن امرؤ معه أن قد كانت له صلة بمهنة سواها ، وكأن العمل فى السياسة لم يكن إلا عارضاً مر وانقضى فليس اليه رجعة . هذا والسياسة مستكنة فى نفسه ومعضلة العبيد فى أعماق وجدانه تنتظر أول صيحة لتبرز من جديد وهى أعظم قوة وأشد وضوحا وأكثر اقتراباً من الغاية ...

وضاق إبراهام ذرعا بما تثيره زوجه من عوامل الشقاق فهى ما تفتأ تريه التبرم والسخط وتأخذه بألوان من العنف يوشك أن ينفد لها صبره ويطيش حلمه ، لولا أنه يعود بالسبب على مزاجها الحاد ؛ وإن كان ليسأل نفسه بين حين وحين أهى مغضبة عليه حانقة لما أصاب من فشل فى السياسة ، فما تزال تتعلق بأوهى الأسباب لمجادلته ومغاضبته وقد صغر فى عينها وهان لديها شأنه ؟ ... ولكنه يحس من زوجه أنها على شغفها بتمنيفه تضمر له المحبة والاعجاب كعهده بها فيطمئن قلبه ويرد الأمر فى هذا الشقاق الى ما يعرف من طباعها

ولكن الشقاق متصلة حلقاته وان وهت دواعيه ؛ والمدينة أضيق فى عينه اليوم منها قبل ، وهو ابن الاحراج والغابات والبقاع المترامية ؛ وهو الذى لم يألف الاستقرار فى موطن . لذلك عول على أن يعمل فى المحاكم المتجولة فيقضى أشهراً بعيدا عن المدينة وعن بيته ، يتبع المحكمة أينما سارت ، إذ كانت المحاكم يومئذ فى تلك الأصقاع هى التى تذهب إلى الناس !

وبرزت فى المحاماة مواهبه من جديد وظهرت خلاله ، وأخذ ينشر مبادئه بالعمل لا بالقول . جعل الحق رائده والصدق شعاره كما جعل مرد كل شىء عنده إلى معانى الانسانية والفضيلة لا إلى أصول القانون وملابساته . وليس معنى ذلك أنه أهمل جانب القانون

كلا إنما كان يهمل جانب القانون إذا أدت ملابساته إلى التعمية وإظهار الباطل فى زائف من ثياب الحق ؛ ولذلك جعل الفضيلة فوق القانون ، والصدق فوق المهارة فى الحوار واللباقة فى المجادلة . وكان يحث أصدقاءه من المحامين ومحبيه من الناشئين على ألا يفرطوا فى جنب الفضيلة قائلا فى صراحة وفى بساطة : ان هناك رأيا شائعاً فى الناس مؤداه أن المحامي رجل يتهاون عادة فى حق الأمانة ؛ ولذلك فلا بد من أن يتمسك المحامي بالأمانة فيما صغر أو كبر من الأمور لكي يدرأ تلك التهمة الشنعاء عنه وعن طائفته . ومن عباراته الشهيرة فى ذلك قوله : « يجب أن تبث فى المهنة روح الفضيلة لكي تطرد تلك الروح الأدنين » وقوله ينصح أحد الناشئين : « إعمل على أن تكون محامياً أميناً . فاذا لم تستطع أن تكون أميناً وأنت محام نخير لك أن تكون أميناً وألا تكون محامياً »

أما عن مسلكه فى معاملة الناس فظل هو هو الرجل المتواضع القنوع . كان يرضى بالقليل من الأجر إذ كان يعتبر طلب الأجر الباهظ من أكبر آثام المهنة . ويذكر أنه دافع مرة عن حق رجل فى مبلغ ستمائة دولار ولم يتقاضه أجراً على ذلك سوى ثلاثة ونصف ! ويذكر أيضاً أنه لم يتفق على الأجر مرة . فلما ربح القضية أرسل إليه موكلوه خمسة وعشرين دولاراً ، فرد إليهم عشرة منها قائلاً : إن ما بقى هو ما يستحقه !

وكان أينما حل يأسر القلوب بسجاياه ، فهو لا يتكلف ما ليس له . ولذلك كان يخالط الناس كأنه أحدهم ، يضاحكهم ويلاطفهم ويسرى عنهم بأقاصيصه ، والناس يفطنون إلى عذوبة روحه وطيب قلبه ويقظة وجدانه ، فيفرحون أن عرفوه ويحرصون أشد الحرص على مودته . ولا فرق عنده بين غنيهم وفقيرهم أو بين كبيرهم وصغيرهم ، حتى الصبية كان يغمرهم بعطفه فيذهب أحياناً إلى جماعاتهم يتفرج على ألعابهم لحظة ، ثم إذا هو بينهم طفل كبير . ولا عجب فقد كان قلبه الكبير مليئاً بمعانى الانسانية فى نسقها الأعلى . وتلك لعمرى هي العظمة الحق التى تعمر قلوب بعض البشر فتسمو بهم عن بشريتهم وهم بين الناس يعيشون كما يعيشون

وكان فى المحكمة كما كان فى خارجها الرجل المتواضع العف يدخل وجيوبه منتفخة بأوراقه ، وقبعته ثقيلة بما حوت ، لا يعرف أبهة المظهر وقد سلم له الجوهر ، ولا يدرى ما التطاول والتعاظم وقد عظم حتى صارت العظمة هي كما يفعل !

كان الصدق فى الدفاع أول وسائله فى الاقناع . وقد يتبين له أثناء دفاعه أن الحق قد ألبس عليه بالباطل فيترك القضية لأنه لا يستطيع أن يلائم بينها وبين طبعه ، أو أن يرفعها إلى مستوى حماسته وصدق شعوره . على أنه ما كان ليفعل ذلك لو أنه استطاع . وكان المنطق السليم والانصاف بعد ذلك أدواته ووسائله ؛ يضاف إليهما الدراسة الدقيقة لما ينهض له ، والاحاطة بجميع تفاصيله . هذا إلى ما امتاز به من صفاء الذهن صفاء يساعده على تبين الطريق إلى غايته في يسر ووضوح ، حتى ما يلتوى عليه أمر أو يعزب عن ذهنه حادث

وعرف عنه فيما عرف الأناة حتى لقد كانت تغضب منه زوجه وترميه بالبلادة . وكثيراً ما تبرم صديقه هرندن وتململ لأناته . فانظر ألى إبراهام يسأله أن يأتيه ببراة وسكين فاذا أحضرهما قال له : إن سلاح تلك المبراة أقصر وأحدوا ملك تظنها بذلك أنفع من السكين إذ هى أسرع ، ولكن أيتهما أبعد من الأخرى غوراً إذا تفذتا فى جسم ؟ ويقتنع صاحبه بعدها أن التأنى فى الأمور أبعد فى سبر الأمور غوراً ، ولا يشتكى بعد من أناته ويطيق معه صبراً !

وكان مما يهابه منه المحامون تهكمه ، فهو يعمد فى دفاعه أحياناً إلى التهكم اللاذع فيزلزل به قدمى خصمه حتى ليذهل عن رشده بين ما ينبعث من جوانب القاعة من الضحكات ...

وكان إذا جاءه أحد الناس يطلب إليه المدافعة عنه استفهمه حتى يستقصى خبره ، وهو على طيبة قلبه يقرأ فى وجه محدثه أمارات الكذب إذا هم أن يكذب ، فما يزال به حتى يرده إلى الصدق فى مهارة دون أن يسيئه فى شعوره ! فهو وإن لم يك من الماكرين لا يقدر أحد أن يمكر به . فاذا جاء دور الأجر طلب إلى موكله أن يدفع ما يستطيع . فان كان موكله مملقاً فكثيراً ما كان يكتفى من الأجر بالثواب وبالجميل يغرسه فى قلبه . ذلك ما حدث حين قام يدافع عن ابن متحديه القديم أرمسترنج وقد اتهم فى جناية فانه لم يتقاضه على تبرئته أجراً إلا المودة

« يتبع »

الخفيف

تطور الحركة الأدبية
في فرنسا الحديثة (١)

فرديناند برونتيير F. BRUNETIÈRE

١٨٩٤ — ١٩٠٦

للأستاذ خليل هنداوى

— ٢ —

نقده التطورى

كان (برونتيير) فى نقده معارضاً أشد المعارضة للنقد المنفعل وزعيمه (جول لميتر). والنقد الشكى وصاحبه (أناطول فرانس)، كان يؤمن بأن فى خارج عوالمنا حقيقة معهودة وأن ليس حقاً أن تكون الآراء مختلفة وأنواع المذاهب عميقة التباين إلى غير حد. إذ فى الإمكان أن تعرف — وبمقياس خاص — أن نحلل فنحدد تاريخ أثر ما، وأن نفسر أخلاق كاتبه، وندرس تاريخ بيئته كما صنع سانت بوف وأن نعمل خيراً مما عملوا. يمكننا هذا ويجب أن نناقشه. أما النقاد المنفعلون فيميلون على ألا يبدوا إلا انفعالاتهم دون أن يجزموا بها. على أن هنالك قواعد كثيرة مرهفة دقيقة تخص الأدب والفن، تجبرنا على أن نناقش الآثار الأدبية ونعمل على تصنيفها وبحسب هذه القواعد شن (برونتيير) الغارة على الواقعية والرمزية، وهنالك شيء غير هـذا يتعلق بالقواعد الفنية

فنظرية الفن من أجل الفن نظرية خطرة يجب ألا تقفنا مجردين إزاء الخير والشر فى الأخلاق، إن أرادوا أو لم يريدوا، فإن أثراً ما قد يثير تأثيراً حسناً أو سيئاً. ومن واجبهم أن يقضوا عليـه مهما كانت بواعث المؤلف إذا كان تأثيره تأثيراً خطراً.

والناقد فى نظريته هذه يوافق تلميذ بول بورجيه:

وقد أراد — برونتيير — أن يعطى نقده صفة علمية، وقد زعم أنه اكتشف قانوناً يحيط بالأنواع الأدبية ويصنفها، يقول: إن الأنواع الأدبية مهما كانت البواعث عليها من ضرورة أو حاجة أو بيئة، فهى مثل الأنواع الحية للأحياء التى درسها «داروين». «كل شيء يتطور. لا شيء يبقى ساكناً. كذلك الأنواع الأدبية تتطور، تمشى حيناً إلى صلاح وحيناً إلى فساد، وقد درس الشعر العاطفى والقصصى وبنى نقده على مذهبه التطورى.

وإذا لم يبق لبرونتيير شيء من هـذا المنطق العلمى فإن تطوراته جاءت تحتوى تنظيما للتغيرات الأدبية، تصنف الآثار الأدبية كما يصنف علم الطبيعة أنواع الأحياء. وكان لنقده تأثير كبير فى الأندية الأدبية. ولم يكن هذا النقد يعتمد على الأحوال العلمية فحسب، بل كان يرجع إلى التاريخ وإلى معرفة واسـعة للآثار والنصوص. وذلك ما كان مجهولاً قبله، ولقد كان قبل كونه نقاراً محارباً نقاداً قاسياً ذكياً. فهو وحده أعلى شأن الكتاب المهملين وشأن كل الحركات الفكرية المهجورة لأنها لم تأت فى أثر مذكور، أو قول مأثور. وكان ذا موهبة خطابية يعلمها من كان يشهد محاضراته، وتشهد عليهـا تلك الأفواج الكثيرة التى كانت تسحرها لهجته وبفتنها بيانه

أدب الحياة

إن المدرسة الرمزية كالمدرسة البرناسية تعمل على الانطلاق من حياة الجماعات، لا يؤلف أصحابها إلا لأنفسهم خاصة. فهم ينظمون شعراً لفئة خاصة، وإذا هم ترنموا بالحياة لم يترنموا بالحياة العامة التى يظهر فيها القطيع الإنسانى قطيعاً بائساً يمشى على إيقاع القوات الحاكمة. والعودة إلى الأدب الإجتماعى ومحو التشاؤم (البرنامى) قد ولدا مدارس وآثاراً تريد أن تترنم بالحياة وتملأها شدواً وحناناً وجمالاً. وقد أسس (بوهيلي ومونتفور وموريس) مذهباً يعيد للإنسانية جمالها البطولى، وينظم الروابط التى تصلها بالوجود، وينير شعاعها القوى فى الطبيعة. وهـذا الشاعر (فرناند جيك) يذود عن الإنسانية التى تحتل مكانها فى الوجود بواسطة الإنسان. وبعد هذا فإن الوحدة التى أعلنها (جول رومان) والتى تسعى إلى التعبير بصورة رمزية لا عن نفس ولا عن أنفس، ولكن عن النفس الإنسانيـة عامة التى تبدو حيناً متحدة وحيناً منقسمة. هى النفس الحقيقية العميقة من

(١) عن الأستاذ «دانيال مورنى»

النفوس البشرية ؛ ومن أظهر آثاره فى هـذه المعنى (الجيش فى المدنية)

ومثال ذلك من الشعراء مقاطيع (أميل فار هارم) الشاعر البلجيكى . ولد فى (سانت راماند) بالقرب من (أنفرس) سنة ١٨٥٥ . وقد درس الحقوق فى أول عهده ثم وقف حياته كلها على الشعر ، ودرس خلال ذلك أسرار النفوس الخفية . ومات سنة ١٩١٦

عاش « فارهارم » وتثقف في بلد هادئ ، وفى قلب أسرة متدينة غنية بالعافية مطمئنة القلب . ونشأ هو درّيساً مرحاً وإنساناً يجنح إلى الطرب . وبعد أن قل ميله إلى المدرسة الكلاسيكية ونزوعه إلى لامرتين وهوجوأخذ ينظم شعراً واقعياً حساساً . ولكنه استنفد قواه ، أوأن قواه كانت أضعف مما كان يظن ، فأصابه بلاء فى صحته ، حتى أصبحت أعصابه المتوترة لا تستطيع أن تحتمل أية ضجة ، لا وقع لحن ولا وطء قدم . وهذا بلاء تولد عن بلاء نفسى . فلقد كانت طفولته مشحونة بالأساطير ، طافحة بالتقوى والاعترافات والصلوات ! ولكنه شك فجأة وجرب باطلاً بأن يستعيد إيمانه ، فكان أن فرّ الإيمان وأقبل الألم

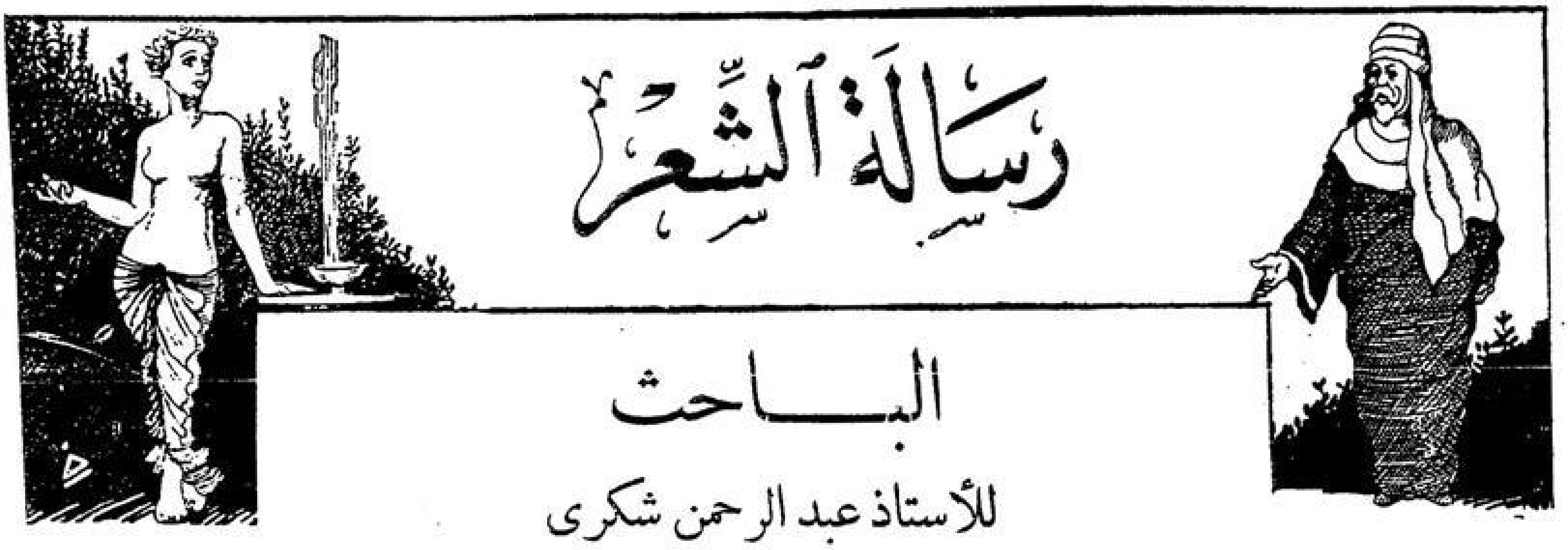
فأخذ يجد فى السياحة فى أطراف البلاد طالباً التعزية لنفسه فكتب ونظم ... وفى هذه الفترة أصاب وطنه أزمات اجتماعية عنيفة حتى أقوت القرى من سكانها ، وعفت المدن بمن استهوتهم بألوانها . ولكن (فارهارم) عاوده الشفاء رويداً رويداً ، فعاد يجد الحب والإيمان . أما الحب فلم يتكلم عنه إلا بمقاطيع محجبة ولكنه يبدى إيمانه به . فالمدن قد فتحت أذرعها إلى القرى لتخليها من أهلها ولكنها — برغم عيوبها وشرورها — قد أوجدت العزم والقوة . وإنها لقوة مشوشة ، ولكنها جميلة مخصبة لأن البرية المنجذبة أخذت تموت . فلتترنم الآن بالقوة التى تحيي الموات . هذه هى ألحان الحياة الحاضرة ...

ولكن شفاءه لم يجعل منه إنساناً صافى الشعور . فقد ظل على ارتماشه وهيامه الباطل . وقد علمنا أن له — منذ طفولته — إحساساً عصبياً عنيفاً ، وبعض الذكريات من هذه الطفولة قد ولدت فيه أنواعاً من حب الأسرار ناهيك بطغيان المخيلة عليه . وقد جرى خلف مدارس أدبية حديثة ، فاستمد من شوبنهاور ومن بودلير ومن فرلين ومن مالارمى . فكان هو ومعه فئة من بنى قومه أسسوا الفن الحديث في بلجيكا الحديثة ، وكانوا ينشرونه فى المجلات الرمزية . وهذه الرمزية كان مزاج شاعرنا يميل إليها

هنالك صور مفاجئة تتولد من نفسه فى ظلمة نفسه بصيحة من نفسه ، أو حلم أو حالة مجهولة ، ومنها تتولد صور أخرى تحف بها فتكون قصيدة رمزية ، لأنها ليست مظهراً عددياً للتأمل . ولكنها نوع من هذا الهيام الباطنى حيث كل خيال يعكس حالة من حالات النفس ، وكل نغمة تمثل فكرة موزونة

وهكذا قدر لشاعرنا أن يعبر فى دواوينه « القرى الباطلة » و « البرارى الهائمة » عما لا يقدر عليه شاعر آخر من معان تفر من الوضوح ومن التعبير الواضح . فكان بهذا شاعر المطر والريح والسكون وكآبة الهجر والعزلة . وكان بهذا شاعر الكآبة المنجذبة الشاردة للأشياء . ولكن سرعان ما شفى من هذه الحالة النفسية فلم يعد يميل إلا إلى الطرب والنور . وبدلا من تلك المطاحن السوداء والمآسى وحفارى القبور وكل ما يبعث على الأسى أخذ ينظر إلى السنابل المتحركة والمطاحن الفرحة ويسمع الصراصير ويفهم كل أشكال النور والخصب وفرح الحياة . ألم يكن يجد فى كل حالة شقاء له وكمداً دون أن يقدر على الفرار من هـذا الكمد ! كان يحيا في عالم صاخب ، ومذ عاد إليه إيمانه الاجتماعى وتفاؤله نشأ عنده ميل إلى كل ما يرن ويدوى ، وإلى كل ما لا يسقط كالسهم فى النور . وإنما ينساح كالجدول المنساب فى الغابة . فتش فوجد الشعر العاطفى هو الذى يقدر أن يعبر عن هذا الشعر للحياة الهامسة المضطربة ، هذا الشعر الخطابى حيث تدور الفصاحة فيه وتسيطر عليه . وأطياف من الصور القاسية التى تنتهى بالذوبان فى شبه وحدة متحركة فى الايقاع الناعم القاسى لحياة لا تجرى على نظام متبوع !

« يتبع » خليل هنداوى



الباحث

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

المقدمة

قد صور كثير من المفكرين والشعراء حياة الانسان عصراً بعد عصر كأنها حياة إنسان واحد أو كأنها بحث متصل دهراً بعد دهر ، وهذا البحث هو ما يزكون به حياة الانسان وما يعذرون به شقاءها وآلامها ويأملون آمالاً كباراً من وراء تقلب الانسانية فى بحث الحياة . ومن هذه الآمال رجاؤهم أن يعم الشعور بوحدة الانسانية على اختلاف الأجناس والشعوب والمطامع والضرورات والمطالب والنزعات النفسية ، ويأملون إذا عم هذا الشعور بوحدة الانسانية أن يقلل الاحساس العام بوحدتها من البغضاء والشرور والحروب والآلام والجشع ، وأن يؤدى إلى التعاون على الحياة بدل التقاتل عليها . وهذا البحث الانسانى المستفيض دهراً بعد دهر للحياة وما يدعو إليه من الاحساس بكل شعور وكل حالة من الحالات كى يعم مبدأ وحدة الانسانية هو الذى دعا إلى تخيل إنسان يعيش دهراً بعد دهر فى كل حال وفى كل مكان حتى يملأ العطف قلبه ويرى أن نشدان الحق غاية الحياة ، وعلى فرض أن هذا الأمل الكبير فى أن يعم الاحساس بوحدة الانسانية حتى تنمحى شرور الجشع في التقاتل عليها لن يتحقق فان بقاءه كمثل أعلى مما يخالط مرارة الحياة بحلاوة منه

وعلى فرض أن المثل الأعلى لا يكون فى تحقيق وحدة الانسانية ؛ ففى القصيدة مثل آخر وهو أن نشدان الحق هو الشعلة المقدسة التي ينبغي أن يرعاها الفرد ، وأن ترعاها الانسانية عامة

القصيدة

بينما كنتُ سائراً لاح شيخ ذو سكون ونظرة هوجاء (١)
ويكاد الضيـاء ينفذ منه فهو بين الأنام صنوُ الهواء (٢)
باحث فى السماء يطلب شيئاً غاب عن عين غيره فى السماء

(١) هوجاء ، لأنها لا تستقر لتطلعه إلى ما ينشده من الحق في كل ناحية
(٢) صنو : قريب

وهو فينا جزء من الزمن الأ ول ذكرى لسالف الآباء
وجهه رائع كوجه أبى الهو ل رأى ما مضى على الغبراء
قلت ياشيخ ما دهاك وما شأ نك بين الأموات والأحياء
قال من يدرس الحياة طويلاً لَخَلِيقٌ بضَحْكةِ الجهلاء
كنت والكون فى الطفولة أغدو وشـباب الأيام فى الغُلواء
وصرعت المنون حتى لأنسا نِيَ طولُ الحياةِ حُكْمَ الفناء
دُوَلٌ قد أتت وأخرى تَقَضَّتْ وبقائي بين الأنام بقائى
وشهدتُ الصروف من قبل عادٍ والمنـايا تَجُرُّ ذيل العَفَاء
أَنْشُدُ الحقَّ لست أَلْوِي إلى البا طل فالحق يُطَّبى بالرجاء (١)
عشت دهري بالبحث والأمل الحلـ ـو ولولاه لم أَفُزْ بالنجـاء
من سهام المنون إنَّ سهام الـ ـموت فينا كثيرة الإصماء (٢)
هِمْتُ يوماً من قريتى أنشد الحـ ـق . لعلى أراه فى الدهماء
عِفْتُ بيتى و بلدتى وهجرت الـ أهل أبغى رىَّ النفوس الظِماء
ظمأ النفس مثله ظمأ الجسـ ـم وداء النفوس كالأدواء
زعم الناس بى الجنونَ وخالوا طالب الحق أخرق الأحياء
كلما لاح شامخ قلت إن الـ ـحق يغدو مِنْ خَلْفِهِ بإزائى
ورَعَيْتُ الظلماء عَلِّى أراه خارجاً من سرائر الظلماء (٣)

(١) يطبي : يستمال (٢) الاصماء : إصابة المقتل ضد الاشواء
(٣) على : أى لعلي

وجزعت الصحراء أرجو لقاءً
منه يُرجَى فى وحدة الصحراء[1]

ولكم غُصْتُ فى العُبَابِ عليه   إنما الدر منه فى الأحشاء

وأَثَرْتُ الأصداء أبغى جوابا   لسؤالى فى منطق الأصداء

وسألت الرياح عنه فَصَمَّتْ   عن دعائى فلا تُجِيبُ دعائى

وسألت السماء تبرز وجهـا
منه يَبْهَى فى الأفق جَمَّ الضياء[2]

وأعارَتْنِىَ الطيورُ جناحا   أرتجى منه لقية فى الفضاء

طالما خاب ناشد الحق لكن   رجائى كما عهدتُ رجائى

قد يجىء الصباح منه بوجه   طالما كان مُضْمَراً فى الخفاء

أو تُبِينُ الأحلام منه ضياءً   فى سماء الأحلام مثل ذُكاء[3]

قد صحبت الانام طُرًّا كأنى   بينهم فى تَلَوُّنِ الحرباء

كان لى نوح فى السفينة خِدْنًا   فنجونا من مُهْلِكِ الأنْوَاء

وحبانى أشور فى نِينَوَى العُظْمَى بِسَيْبٍ من جوده وثناء[4]

ورآنى فرعون أَقْدِمُ فى الجيش مُشِيحاً ورافعاً للواء[5]

وتَجَلَّى آمون فى معبد الأقصر يقضى فى شعبه بالقضاء

ولكم جُلْتُ فى أثينا وأفلا   طون يتلو فصاحة الحكماء

ورأيت الرومان فى رومة العُظْمَى عظام الأعمال والأهواء

وصحبت المسيح فى القُدْسِ دهراً   وحبانى من روحه بالصفاء

وعبدت النيران قِدْماً ولكن   قد سما بى الإيمان للسمحاء[6]

وحمدت النعيم والترفَ الوا   فر قِدْماً فى صحبة الخلفاء

وحَسَوْتُ النعيم والبؤس حتى   لم أَدَعْ كأس لذة أو شقاء

وصحبت العبيد فى ظُلُمَاتِ العيش حتى جُنِنْتُ بالضَّرَّاء

وأَلِمْتُ الآلام طُرًّا وَلُقِّيتُ عذاباً أُتيح للتعساء

وصحبت الوحوش فى البيد حتى   أَنِسَتْ بى الوحوش فى البيداء

وأرقت الدماء فى الحرب حتى   جُنَّ قلبى من نشوة الهيجاء

(١) جزعت : قطعت   (٢) يبهى : يحسن
(٣) ذكاء هى الشمس
(٤) نينوى : مقر ملك الآشوريين ، والسيب العطاء
(٥) مشيحاً : المشيح المانع لما وراءه من إقدامه وإقباله
(٦) يراد بالسمحاء الديانة الاسلامية

في سكون الليل

للأستاذ ابراهيم العريض

غفا الكَونُ .. إلا ما يكونُ من الصبا
إذا حرَّكت مهدَ الزهورِ النواعس

تخالينها – يا ميُّ – طُهراً مجسَّما   على كل غصنٍ فى الخميلة مائس

ويحبسُ من أنفاسِها الليلُ ريثما   يخالطُها بردُ الندى المتقارس

فتُرسِلُ طيباً حولها فى دوائرٍ   تدورُ إلى أن يغمرَ الطيبُ هاجسى

وقد سكنت حتى المياهُ كأنها   هنالكِ تُصغى فى الظلام لهامس

يصقِّلها مرُّ النسيم فتنجلى   بها صورُ الأشياءِ شبهَ رواكس

وينظرُ فى مرآتها النجمُ حائراً   فليس يرى إلا شرارةَ قابس

أنزعمُ أن اللهَ أبدعَ هذهِ   لنقضى ريحانَ الصبا فى المجالس

ولا طيرَ إلا وهوَ طاوٍ جناحَه   على الرأسِ حتى المنكبين كبائس

تخالينَه من هيئة الشكلِ ناعساً   ولكنهُ – يا ميُّ – ليسَ بناعس

فإن لذكرى كل لحنٍ شدا به   سحابةَ يومٍ هزَّةً فى المغالس

تؤرِّقُه تلك الهواجسُ موهِناً   فيشفِق من جرَّاءِ تلك الهواجس

وكم دوحة فى الروض حال سوادُها   بأنوارِ بدرٍ شعَّ بين المغارس

فألبسَها من نسجِه بعد عُريِها   وشاحاً لجينيَّ السنا كالعرائس

وتحتَ شُعاعِ البدرِ أسفرتِ المنى   وعاينتُها تحنو حُنوَّ الأوانس

تعالى هُنا نخلُدْ من العُمرِ ساعةً   يداً بيدٍ فى نجوةٍ وتهامس

ابراهيم العريض

لم أدع خَطْرَةً أُتِيحَتْ ولا معنى ولا فكرة من الأراء

أو شعورا أو هاجسا أو طموحا   لا ولا مَشْهَدًا تركتُ لرائى

أنشد الحق بالتقلب فى العيش وأبغى سريرة الأشياء

أنت أيضاً شهدت هذا جميعا   غير أَنْ لا تُعَدَّ فى الفطناء

قال ما قال ثم غاب عن العين كما يخفت الصَّدَى فى الهواء[1]

عبد الرحمن شكرى

(١) خفوت الصوت تضاؤل جرسه ، وفى البيت تشبيه أمحاء الصورة أو الخيال من العين بأمحاء الصوت من الأذن



شارلس لام يروى عن شاكسبير

٣ - قصة الشتاء

بقلم الأستاذ دريني خشبة

تتمة

والتفت الملك إلى فلورزيل يقول : « مرحباً بك يا ابن أعز الأحباب وأوفى الأصدقاء ! لقد فقدت محبة أبيك الذى أهفو إليه وأحن له ، وبنفسى ما ألقى من الشوق للقائه ! ولكن ... بحسبي أن أنظر اليك فكأنما أنظر إليه ... وبحسبي أن أنظر إلى الأميرة الجميلة ، فكأنما أنظر إلى هرميون !

— ومن هرميون يا مولاى ؟

— هرميون ! ويلاه علىَّ ! إنها زوجتى المغفور لها يا بنى ! لقد ماتت منذ ست عشرة سنة ... وفقدت كل شيء بموتها ! حتى ابنتي الوحيدة التى لا أعلم أين تعيش اليوم إن كانت ما تزال حية ! آه يا هرميون ! لشد ما تشبهك هذه الأميرة الصغيرة ! ولشد ما تنطبق صورتها على صورتك فى ذهنى المعذب بذكراك ! آه يا بُنيتى ! أين أنت اليوم لأفتديك بملكى ونفسى ! »

ثم انحدرت عبرات من عينى الملك ، فازدحمت الآلام فى قلب الراعى ، وتأكد أن ابنة الملك هى پرديتا الحبيبة التى وجدها فى الغابة ؛ ثم جعل يستعرض براهينه ، فذكر الجواهر التى كانت الواحدة منها تشرى له قطيعاً بأكمله ، وأيقن أنها لا تكون إلا مما يقتنى الملوك ... ثم ذكر ما هو مكتوب فى الورقة فلم يزده إلا ثقة فى حقيقة ما حدس ...

وتقدم الراعى إلى الملك واستأذنه فى الحديث فأذن له ، فأخذ يسرد قصة پرديتا كيف تركها رجل فى ظل دوحة على الشاطئ البوهيمى ، وكيف قتل الدب هذا الرجل واغتذى به ، ثم كيف سمع الطفلة تبكى وتئن من البرد والجوع ، وما كان من ذهابه بها إلى زوجته ، وما وجده فى ثيابها من الجواهر واللآلئ وغالى الحلى ، وما وجده مكتوباً فى ورقة مثبتة فى صدرها بدبوس

ولم يكد الراعى يبرز الورقة وما تبقى معه من الجواهر ، ولم يكد الملك ينظر إلى الجواهر فى يديه ، حتى أهرع إلى پرديتا وهو يصيح : « ابنتى ! ابنتى ! تعالى يا پرديتا ! تعالى إلى صدر أبيك الشقى ! » ثم ضمها إلى صدره ، وراح ينشج نشيجاً مؤلماً ويذرى عبراته الحرار على صدر الفتاة المشدوهة ، التى تركت نفسها حائرة مستريبة فى حضن الملك ، وهى لا تفهم من هذا المشهد المؤثر شيئاً مطلقاً ...

إذن قد عرف الملك جواهره التى أهداها بيديه إلى هرميون ليلة زفافها ! فهذه آية لا يسمو إليها الشك ...

وكانت پولينا — زوجة أنتيجونوس حاضرة — وهى التى حملت پرديتا من السجن لتلقى بها بين يدى الملك — فلما أخذت الورقة من يد الراعى لم تشك فى أنها هى نفس الورقة التى كتبها زوجها[1] وثبتها بيده فى ثوب الطفلة ... فكانت هذه آية أخرى . وبالرغم مما علمت پولينا من أمر زوجها ، وما صنع به الدب ، فانها فرحت بعودة پرديتا فرحاً أنساها أشجانها

وآية ثالثة ... فقد ذكر الملك الشطر الأخير من نبوءة دلفى « سيعيش الملك بلا وارث إن لم تمد إليه طفلته المفقودة ! » فأيقن أنها هى ، وأن أپوللو لم يكذب !

وفى هذه الثورة الهائلة من الوجد الجارف ، والذكريات المؤلمة ، تقدمت پولينا إلى الملك ببشرى رائعة !

ذلك أنها كانت قد حرست على تخليد ذكرى هرميون ، فكلفت المثال الصناع الشهير چوليو رومانو بنحت تمثال للملكة المغفور لها ، فجاء التمثال طبقاً لهرميون الخالدة ، ثم توسلت إلى الملك أن يتفضل فيذهب إلى منزلها ، ليرى أن تمثال هرميون هو صورة حقيقية لپرديتا !

(١) ذكرنا أن هرميون هى التى كتبت هذه الورقة ولكنا عدنا إلى قصة شاكسبير نفسها فعلمنا أن أنتيجونس هو الذى كتبها

وذهب الجميع الى بيت پولينا ... وأزاحت پولينا الستار فبدا التمثال الرائع ... ووقف الملك مسبوهاً أمامه يتأمله ...

وذكر الملك أن هرميون تبدو فى التمثال أكبر من سنها الحقيقية ، فلفتته پولينا إلى أن المثال قد أضاف الى عمر هرميون هذه الست عشرة سنة !

ولاحظت پولينا ما انتاب الملك من الحزن ، فاستأذنته فى إسدال الستار على التمثال ... وهنا — يدور هذا الحديث الباكى :

— لا ... لا تسدلى الستار يا پولينا ! ليتنى مت قبل هذا !! أنظريا كاميللو ؟! ألا ترى إليه كأنه يتنفس يا صديقى ؟! ألا ترى إلى عينيها كأنما تتحركان وترنوان ؟! ... لا تسدلى الستار يا پولينا ! إنى أحس كأن عشرين سنة تتكلم من فم هذا التمثال ! أوه — هاهى ذى الحياة تدب فيه ! فياللناحت الذى يضع الأنفاس فى الصخر ؟! ليهزأ بى من يهزأ ، فلا بد أن أقبل الشفتين الحمراوين !

— مولاى ... حاشاك يا مولاى ... إن الزيت ما يزال غضاً وقد تعلق الحمرة بفمك ! فلأسدل الستار ، فهذا خير !

— لا ... ليست هذه السنون العشرون ! »

وبينما كان الملك يتكلم ، كانت پرديتا الحزينة ساجدة أمام التمثال تبكى وتصلى ، وتتمتم باسم أمها الميتة

وتوسلت پولينا إلى الملك مرة ثالثة فى أن تنزل الستار على التمثال رحمة به ... « وإلا ، فأذن لى يا مولاى أن آمر التمثال فيتحرك ويتكلم ، فإنى قد عُلِّمتُ من السحر ما أصنع به هذا ! »

وعجب الملك ، ثم أذن لها ... « لأنى مستعد أن أرى بعينى وأن أسمع بأذنى ! »

وهتفت پولينا بأسماء كثيرة ، فسمع الواقفون موسيقى عذبة تنسكب فى آذانهم وتدب منها فى أرواحهم ، ثم أشارت إلى التمثال فنزل من فوق قاعدته المرمرية ، وخطر نحو الملك ، ثم ألقى ذراعيه على عنقه وقبله ... وضمه فى حنان وعطف ، وتركه وتوجه نحو پرديتا فاحتضنها كذلك ، وطبع ألف قبلة على خديها وفمها وجبينها ، ثم جعل يتكلم فيقول : آه يا ابنتى ! الحمد للآلهة فقد عدت أخيراً إلىّ ! ... »

مرحى پولينا مرحى !!!

لم يكن هذا تمثالا كما زعمت پولينا ، بل كانت هرميون نفسها !

إى والله ! كانت هرميون لأنها لم تمت ، كما زعمت پولينا للملك ، لكى تنقذ الملكة من سجنها السحيق ، ومن مأساتها الدامية

وعاشت هرميون مع پولينا طوال هذه السنين مفضلة ألا تعود إلى الملك الذي تأكد من براءتها ، لأنها لم تشأ أن تغفر له ما صنع بابنتها ... فلما أُعلن عن عودة پرديتا ، دبرت پولينا هذا اللقاء العجيب !

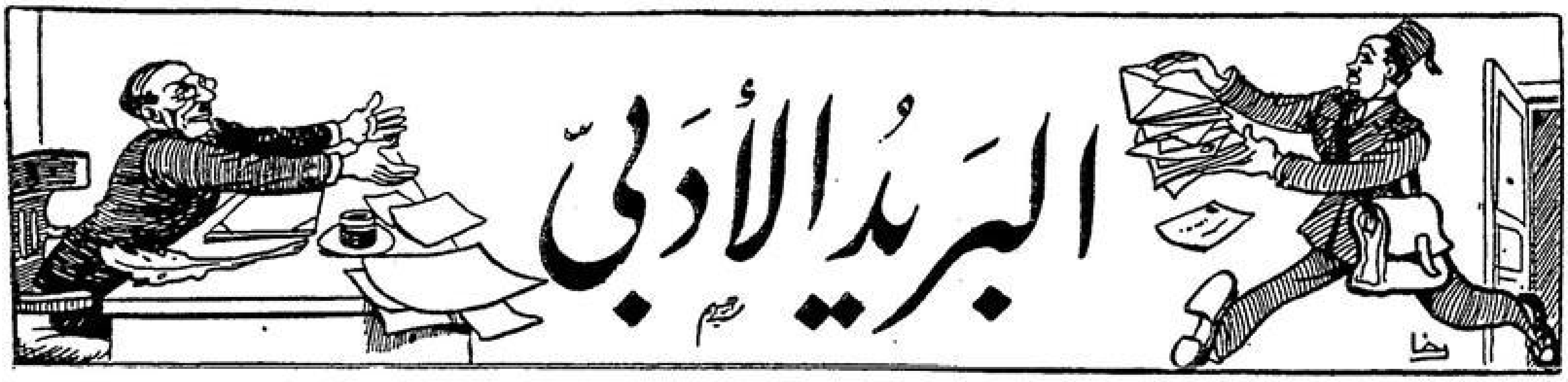
* * *

وفزع پوليكسينز لما علم من هرب ولى عهده . وتأكد أن كاميللو أبق به إلى صقلية ، فاقتص آثارهما — فيا لمحاسن الصدف ؟!

لقد وصل پوليكسينز فى هذه اللحظة السعيدة التى التقى فيها الأحباب ، واطمأنت عندها القلوب !

وعرف أن پرديتا لم تكن راعية شاء ولا رفيقة بُهَم ... وأنها ابنة صديقه الأعز ملك صقلية ، فلم يكن أحب إلى نفسه من أن تكون زوجة ولى عهده .

دريني خشبة



معرض الفن بكلية الحقوق

أقامت لجنة الفنون الجميلة بكلية الحقوق معرضها الأول السنوي الشامل لمجهودات طلابها وأستاذين من أساتذتها في التصوير والرسم؛ وقد وفقت هذه اللجنة الفنية المباركة التي يرأسها الدكتور علي أبو هيف أجمل توفيق في بلوغ الغاية التي تنشدها، واستطاعت أن تقدم من الفن الجميل آيات إذا كان هذا يومها فأكرم بغدها

وإن المجموعة الأولى التي قدمها الدكتور أبو هيف ليتجلى فيها روح الفنان الموهوب فلقد وفق في إبراز المعاني الخفية في جلاء ووضوح، ولعل الناحية التي يبدو فيها فنه هي الناحية الغريزية في النفس، فإن الناظر ليرى في عيني صاحبة «نشوة الألم» كل المعاني التي تجول في خاطرها فهي تكاد تثب وثوباً من مقلتيها، أما صورة «الندم» فقد كان أولى بها أن تسمى «بالذكرى» أو «الحنين» إذ يتبين الناظر في ضم ذراعي صاحبتها معاني اللهفة الحائرة، أو كأنها تخشى أن تتسرب من نفسها نشوة لحظة فهي تضم ذراعيها في قوة وتشبكهما على صدرها.

وتتجلى مقدرة الأستاذ الفنان في تصوير الناحية الجنسية Sex في صورته الفحمية الرائعة «نداء الذكريات» ففيها استلهام لماض معسول، وانتشاء بذكرى عابرة عاطرة، كما استطاع في هذه الصورة نفسها أن يبرز بدائع التكوين الجسدي وروائع الفتنة.

وهناك ناحية أخرى لازم التوفيق فيها الدكتور أبا هيف، تلك هي نقوشه الرائعة لصور الطبيعة، فلقد جلى خبايا الحسن والروعة فيها في دقة بالغة في «فجر الربيع» وفي «سكون الصباح وسحر الغروب» وكلها تنطق بأنه فنان ملهم عرف في هذه الصور وغيرها كيف يوفق بين الألوان واتساق الظلال والأضواء كما يبدو ذلك في «هيكل الحب» وهي صورة غلب فيها خيال الشاعر على إدراك الفنان فجاءت مزيجاً من الاثنين معاً

ويطول بنا الكلام لو وقفنا عند مجموعة كل طالب فنان، وحسبنا أن نشير هنا إلى أن هذه الصور تدل على نبوغ كامن في نفوس لا ينقصها غير التشجيع والأخذ بيدها في هذه الطريق فإنها ولا شك ستبدع وستكون للفن الجميل خير معوان

ويغلب على الطلبة في هذه النواحي الميل لصور الطبيعة، وعلى الأخص مناظر النيل الساحر في مختلف الأحوال، ففيها بذلك روح مصرية جميلة نرجو أن تجد من الحدب ما يأخذ بها في سبيل التقدم ومعارج الكمال. ومن هؤلاء كمال نجيب وزكي واعيش وإحسان والدالي والسمنودي ودسوقي وحتاتة ويحيى سامي وحنفي وحمزة ومدكور والشموتي. وإن ما أبدعته ريشة الفنان الشاب إحسان أحمد ابراهيم لما يدل على روح فنية أصيلة يرجى منها الخير، والحق أن ما عرضه آية في بابه يستحق عليه التهنئة ويستأهل عليه الثناء، وصوره هذه تشير إلى نبوغ فطري فيه سيؤتي أكله في القريب إذا والى العناية بهذه الناحية. ولقد أجاد وأوفى في الإبداع في «الغروب بالأقصر» فإن تعانق الشمس بالمياه في هذه اللوحة لما يلهم الخاطر شتى المعاني وتتدفق حيالها الأخيلة الرفافة، فهذه الشمس معبودة المصريين القدماء تحنو على المياه التي مدت متنها مركباً ذلولا لفراعنة مصر وكأنها تهمس في أذنها بمعاني الخلود، وتنغم أغنية العصور في مسمع الدهر

كذلك استطاع الأستاذ لوسيان شيرون الأستاذ بكلية الحقوق أن يقدم باقة عطرة من صوره للآثار المصرية والاسلامية وهي على قلتها تنبيء عن مقدرته التامة التصويرية، كما تشير لميله للآثار.

ع. حبشي

ألدوس هوكسلي

إذا عد الثلاثة الأوائل من زعماء الفكر في انجلترا في العصر

الحديث فلا شك أن ألدوس هوكسلى يكون ثالثهم ؛ وأولهم — فيما نرى — هوبرت دشو . وثانيهم هو هـ . ج ولز — وقد نظلم برتراند رسل بهذا الترتيب ، وهو على كل حال رابعهم ، وله مزاياه التى يتفرد بها بينهم ... وألدوس هوكسلى هو ابن العلامة الأشهر توماس هوكسلى الذى اهتدى إلى نظرية النشوء قبل أن ينشر دارون كتابه (أصل الأنواع) بثمانية أعوام ، والذى لولاه ولولا كتاباته الخالدة لم يكن لدارون هذا الذكر وذاك الخلود ... وهوكسلى الصغير هو أحد الكتاب الشباب ، وإن يكن قد جاوز الأربعين ، الذين برزوا إلى الوجود بعد الحرب الكبرى ، والذين ثاروا على القديم تلك الثورة الهدامة التى كادت تأتى على أسس الأدب الانجليزى المحافظ . وقد اشترك مع هوكسلى فى هذه الثورة لورنس وچويس وفلسفها شو ، لكن لورنس وچويس كانا يتخذان فى ثورتهما سلاحاً من العاطفة مسنوناً ، ومادة من الجنس يتغلغلان بها إلى أعماق القلوب ، وكذلك كان يفعل هافلوك أليس ، وما يزال ؛ إلا أن أليس عالم يحلل النفس وكأنه فى معمل من هذه الحياة ، وقصته (أولسيز) آية علمه ، وقصته الجديدة (رقصة الحياة) آية أخرى... وألدوس هوكسلى ثائر من صنف أليس ، وعالم مثله ، وبينه وبين ولز صداقة حميمة ، ويحسبه القارئ من تلاميذ شو ، لكنه فى الحقيقة تلميذ السويدى العظيم هنريك إبسن ، وقد ظل طوال حياته الأدبية متأثراً بطريقته فهو يهدم ولا يبنى ، ويشخص ولا يصف العلاج ... ولكن انقلاباً عظيما حدث فجأة فى حياة هذا الأديب الكبير ، فقد أصدر كتاباً جديداً له أسماه الغايات والوسائل Ends & Means تناول فيه علل الحياة الحاضرة من سياسة وتعليم واقتصاد وأطماع فجعل يبدئ ويعيد فى أسبابها ، ثم يشرع بعد ذلك فى وصف الدواء لكل حالة . وقد فزع هوكسلى فى مقدمة كتابه من الحالة المخيفة التى انتهى إليها العالم جملة والأفراد متأثرين بما يرون من أعراض العلل التى تنتاب الأمم فى موكبها المضطرب الذى تسير فيه إلى نكبة محققة ... وقد اعتدل هوكسلى فى مؤلفه الجديد فيما يخص الأديان ، بل هو يعترف أن التدين سيلعب دوره الخطير فى رد العالم إلى التعقل ، ويبدو هنا أنه تأثر بالأديب الفيلسوف الفرنسى الكبير برغسون الذى وقف لوالد المؤلف ولدارون بالمرصاد ، يرد نظرياتهم المادية ، ويقفها صامتة جامدة أمام حججه الروحية التى لم يستطيعا نقضها ، والتى جاء مؤلف هوكسلى يؤيدها ويبشر بها ... وينعى هوكسلى على طرق التعليم والتربية المنتشرة فى العالم اليوم أنها رثة بالية ، وأن مكروب الفساد الذى ينخر فى كيان البشرية فى هذا العصر ينتشر من رممها ويتكاثر فيها ، ودليله أن أرقى الأمم وأقواها ، وأكثرها مدنية ومدارس وجامعات هى التى تهدد سلام العالم وتتربص بغيرها الدوائر ، وتعد أدوات الدمار لساعة الجد ؛ ولو كانت وسائل التربية والتثقيف ناجعة لما نامت الملائكة واستيقظت الشياطين وتأججت الحفائظ بالعداوات بين الدول ... وهوكسلى هنا يبدو من أنصار فكرة السلام العالمى ، بل هو من دعاة البشرية التى بحّ صوت ولز بتحبيذها ... وقد وجم الرأسماليون الانجليز من صيحة هوكسلى ، وبدأوا يسفهون فلسفته الاجتماعية الجديدة ، وهذا لأنه عاب توزيع الثروة العالمية بين الأمم ، وصرح بأن استئثار بعض الدول دون البعض بخيرات الأرض هو شلل لنشاط أمم ناهضة عاملة ، كما أنه تخمة تشل نشاط الأمم المالكة

وسنعود إلى هذا الكتاب القيم حين نفرغ من قراءته

الحبشة بعد الفتح الايطالى

قام الميجر ا . و بولسون نيومان الإنجليزى برحلة طويلة فى بلاد الحبشة بعد استقرار الفتح الإيطالى فيها استغرقت ثلاثة أشهر (من مارس إلى يونيه سنة ١٩٣٧) متبعاً طريق الغزو التى سار فيها الجنرال بادوليو مبتدئاً من مصوع ومارًّا بعدوه وأكسوم وماكالى وكوارم ... إلى ديسى . ثم إلى أديس أبابا ثم إلى لهمتى (!) فسابو فجمبيلا فحدود السودان ، ثم انثنى بطريق الجنرال جرازيانى إلى مقدشو على المحيط الهندى . ثم ركب الطائرة من قسمايو في (الصومال) فطاف بمقاطعة أوجادن إلى ديردوا وإلى هرر ومن ديردوا بالسكة الحديدية إلى جيبوتى وبالباخرة إلى الميناء الإيطالى الجديد عند عصب . وقد كان أهم ما لفت نظر الميجر بولسون هو زوال روح الجفاء بين الأحباش المقهورين والايطاليين الغزاة ، وهذا النشاط العجيب الذى يبديه الإيطاليون فى تحضير الحبشة وترقية مرافقها الحيوية وانتشار المدارس الايطالية فى أرجاء إمبراطورية أسد يهوذا . وقد ألف الميجر فى رحلته هذه

كتاباً هو أحسن ما وصفت به الحبشة إلى اليوم . وبالرغم من أن المؤلف إنجليزي فالكتاب موضوع فى أسلوب حي وروح غير عدائي .

كتاب جديد للمستر ولز

من أنشط المؤلفين فى العصر الحديث وأكثرهم إنتاجاً هو الكاتب الأشهر ه . ج ولز الذى لا يكاد يمضى عام إلا ويتحف قراءه — وهم عشرات الملايين — بكتاب جديد تحتاج قراءته إلى عام أو أكثر من عام ؛ وأحسن ما ألف ولز هى طوبوياته التى يدفع بها الإنسانية إلى السبرمان . وقد دعا فى السنوات الأخيرة إلى وجوب عالية التعليم وهى عالية لا تفهمها القومية ولا تريد أن تستسيغها ، لأنها نقيض لها ، فالعالمية هى الديمقراطية بين الأمم ، أما القومية فهى الاستبداد بين الأمم ، وسلاح الأولى السلم والصالح العام ، أما سلاح الثانية فالحرب والتغلب والتبرير . وولز من أجل ذلك يدعو إلى وجوب جعل التعليم عالميًّا ، وانتزاع أخبار الحروب والصدام بين الأمم وتراجم الطغاة والمستبدين من صلب منهاج التاريخ الذى يدرس للتلاميذ فى مدارس العالم قاطبة حتى لا تخدعهم الكبرياء الوطنى عن صالح البشرية العام . وهو يدعو أيضاً إلى تأليف موسوعة عالميـة تبشر بالأخاء الإنسانى وتكون إنجيلاً حديثاً يوجه البشرية ويمهد لحكومة عالية تحل محل عصبة الأمم التى ماتت ورنقت الغربان الجائعة فوق جيفتها تنوشها وتمزقها . وقد طاف ولز أنحاء العالم وراح يدعو إلى مذهبه فى جامعاته ، وقد حاضر في أمريكا وفى انجلترا وفى فرنسا فنون الأذهان لما دعا إليه ، ثم جمع محاضراته وأحاديثه ومقالاته وأصدرها فى كتاب واحد سماه World Brain وهو اسم غريب تشوهه الترجمة

رابطة التربية الحديثة

زار مصر الأستاذ برفيه مدير معهد جان جاك روسو وكان من أثر زيارته أن اقترح إنشاء فرع فى مصر لرابطة التربية الحديثة يكون من أغراضه مناقشة شئون التربية والتعليم والوقوف على التيارات المتصلة بها فى العالم الحديث وإحداث تجارب فى هذا الصدد محليا ، وعقد الاجتماعات الدورية الخاصة ، وإلقاء محاضرات عامة ، وعقد المؤتمرات ، ونشر البحوث الفنية ، وإنشاء مكتبة لهذا الغرض ، والاتصال بالهيئات التربوية فى الخارج

وقد أنشئت فعلا هذه الرابطة من كبار رجال التعليم وألف مجلس إدارتها من صاحب العزة الدكتور احمد عبد السلام الكردانى بك ناظر معهد التربية . والأستاذ اسماعيل القبانى ناظر مدرسة فاروق الأول الثانوية ، والدكتور عبد العزيز القوصى الأستاذ بمعهد التربية ، والأستاذ محمد فريد أبو حديد الموظف بالمعارف ، والدكتور سيد أبو باشا ناظر مدارس النيل ، والدكتور أمير بقطر الأستاذ بالجامعة الأميريكية ، والآنسة أسماء فهمى ، والآنسة سمية فهمى ، والأستاذ محمد عبد الواحد خلاف مدير التعليم بالجمعية الخيرية الإسلامية ، والأستاذ احمد خلف الله المدرس بالجامعة ، والأستاذ على النحاس بمعهد التربية للبنات ، والاستاذ رياض عسكر وكان أول ما فكرت فيه موضوع الامتحانات فى مصر على نحو ماذكرناه فى العدد الماضى

ذكرى الرافعى

اعتزمت مصلحة الإذاعة الفلسطينية بالقدس الاحتفال بذكرى المرحوم الرافعى لمناسبة مرور عام على وفاته فى ٩ مايو سنة ١٩٣٨ ودعت بعض أدباء المصريين للمساهمة فى هذا الاحتفال . وإنه لوفاء يستحق الإشادة والذكر كنا نرجو أن تكون محطة الاذاعة المصرية أسبق إليه إحياء لذكرى فقيد العروبة الكبير الذي نشأ فى مصر وكانت لها حياته وفيها مثواه . على أن الوقت ما زال متسعاً لتفكر محطة الاذاعه المصرية فى القيام بهذا الواجب ؛ جرياً على سنتها فى الاحتفال بذكرى الخالدين من أدباء العربية ، ومنها الأسوة فى الاحتفال بذكرى الشاعرين الكبيرين شوقى وحافظ إبراهيم

مدرسة الخدمة الاجتماعية فى خدمة الفلاح

أنشئت مدرسة الخدمة الاجتماعية فى القاهرة لإعداد الشباب لخدمة المجتمع ، واستغلال جهودهم للصالح العام . وكان طبيعياً أن تتجه الفكرة فى المدرسة إلى تنظيم دراسة الخدمة الاجتماعية فى القرية فوضعت لذلك برنامجاً منظماً وافياً يشمل كل نواحى القرية ويدرس أكثر المشاكل الريفية دراسة عملية قائمة على الخبرة والتجارب ونظرة إلى هذا البرنامج تبعث فى نفوسنا الاطمئنان على ما تقدمه الخدمة الاجتماعية فى القرية :

تقدمة عن تاريخ الفلاح . اقتصاد زراعي وتعاون ومسائل صحية . التعليم . تجميل القرية والمسكن . ترغيد الحياة الريفية الأمن العام . الفلاح والدولة . مسائل اجتماعيـة . الخدمات الاجتماعية في الريف

وقد بدأت هذه الدراسة الريفية يوم ١٣ أبريل وتستغرق نحو شهرين وتلقى المحاضرات في أحد مدرجات كلية الطب ويقوم بإلقائها نخبة ممتازة من المتصلين بشئون القرية والمهتمين بانهاض الفلاح ، نذكر منهم الآنسة ابنة الشاطئ وإبراهيم رشاد بك والدكتور محمد خليل عبد الخالق بك والدكتور على بك حسن والدكتور حلمى السعيد والدكتور القللى بك والدكتور عبد الله العربى بك والدكتور مأمون عبد السلام والدكتور احمد حسين

وإلى جانب هذه الدراسات العلمية المنظمة تقوم المدرسة بزيارات عملية للريف

كتاب شواهد القبور

نشر الأستاذ جاستون فييت مدير الآثار العربية « كتاب شواهد القبور » وهو السفر التاريخي الذى يسجل فيه هذا العالم ما يعثر عليه من شواهد القبور فى العهود الاسلامية المختلفة فى مصر ، ونورد فيما يلى نموذجاً من هذه الشواهد ، وما كتب عليها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، هذا قبر محمودة بنت عبد الله بن موسى بن خالد توفيت يوم الجمعة لأربعة عشر ليلة خلت من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين وثلثمائة »

وكتاب الشواهد موضوع باللغتين العربية والفرنسية ويقع الجزء الخامس منه — وهو الذى صدر أخيراً — فى نحو مائتى صفحة حافلة بما وجد على القبور من مثل هذه النقوش ، كما ألحق بها رسوم واجهات هذه القبور فى نحو خمسين صفحة من الورق الفاخر المصقول

اشتراك مصر فى معرض البندقية الفنى الدولى

يقام معرض الفنون الجميلة الدولى المعروف باسم « البينالى » فى مدينة فنيسيا في الصيف القادم ويعد هذ المعرض من أكبر معارض الفنون الجميلة وتشترك فيـه الدول كلها فيمثلها كبار الفنيين من مصورين ومثالين

وقد قررت وزارة المعارف المصرية الاشتراك لأول مرة فى هذا المعرض ، فخصص للفنانين المصريين جناح كبير تعرض فيه مبتكراتهم التى عنى بانتقائها الأستاذ ريمون مراقب الفنون الجميلة فى الوزارة

وألفت لجنة من حضرات الأساتذة محمود سعيد ومحمد ناجى ومحمد حسن وراغب عياد ويوسف كامل وأحمد صبرى ولبيب تادرس وسعيد الصدر وعلى الديب ونحميا سعد من رجال الفنون المصورين والمثالين لترتيب المعروضات وتنسيقها فى المعرض

جائزة للتعاون الدولى

نظم « مركز نشر الفكر الفرنسى » مبـاراة لنيل جائزة « رحلة الى فرنسا » مقدارها عشرة آلاف فرنك

وهـذه الجائزة تمنح لشاب مصرى يضع أحسن بحث فى الموضوع الآتى :

« الإبانة على نور الحوادث والتجارب بعـد الحرب ، عن مدى التضامن الاقتصادى وقوته ، الذى يربط الأمم بعضها ببعض حتى ولو تفاضت عنه »

ويجب أن يكون المتبارون مصريين ، دون الخامسة والثلاثين من العمر ، وأن يكونوا من تلاميذ مدرسة عالية أو من خريجيها ، وان يقدم كل منهم « بحثه » فى هـذا الموضوع قبل ١٠ مايو القادم ، إلى عميد مدرسة الحقوق فى الجيزة ، على ألا يزيد هذا البحث على خمس وعشرين صفحة ، مكتوبة بالآلة الكاتبة ، وأن يقدم منه ثمانى نسخ ، ولا ينبغى أن تذيل هـذه النسخ بتوقيع صاحبها ، بل يجب أن ترفق برسالة فيها اسم صاحبها ، وتكتب « البحوث » باللغة الفرنسية أو باللغة العربية مع ترجمتها بالفرنسية

لعبة الشطرنج عند قدماء العراقيين

أثبتت الآثار القديمة المكتشفة أخيراً فى العراق أن سكان العراق القدماء كانوا يلعبون الشطرنج ، وأن هذه اللعبة كانت إحدى وسائل اللهو عندهم . وقد أثبت هذا معهد الأبحاث التاريخية وبعثة بنسلفانيا الأمريكية التى تباشر أعمال التنقيب فى العراق . وقد وجدت بعض القطع فى شمال العراق . ويرجع عهـدها إلى أربعة آلاف سنة ق . م . ويدل وضع هذه القطع على أنها استعملت كثيراً فى اللعب

تعداد سكان العراق

ظهر من السجلات الرسمية أن النفوس المسجلة فى العراق فى الوقت الحاضر بلغت ١٫٨٤٦٫٩١٥ نسمة من أهالى المدن و١٫٥٢٣٫١٩٦ نسمة من المشائر فالمجموع ٣٫٣٧٠٫١١١ نسمة. وتقدر النفوس غير المسجلة من سكان المدن بعشرة فى المائة أى ١٨٥٫٠٠٠ نسمة ، ومن العشائر بستين فى المائة أى ٩١٤٫٠٠٠ نسمة ، فيكون مجموع النفوس غير المسجلة ١٫٠٩٨٫٠٠٠ نسمة ومجموع نفوس العراق ٤٫٤٦٨٫٠٠٠ نسمة

وفاة المغنى الشهير شاليابين

توفى المسيو فيدور شاليابين المغنى الروسى الذائع الصيت . وقد ولد فى بلدة كازان بروسيا أول فبراير سنة ١٨٧٣ واشتغل عدة أشهر « صبياً » لصانع أحذية ثم موظفاً صغيراً فى السكك الحديدية وتلقى مبادئ الموسيقى الأولى عند انضمامه إلى فرقة المرتلين بكنيسة بلدته كازان ولما بلغ السابعة عشرة من عمره انضم إلى فرقة تمثيلية متنقلة ، وكان يقوم فيها بالغناء والرقص . وتلقى الدروس الموسيقية الأولى على الأستاذ أوستانوف فى مدينة تفليس سنة ١٨٩٢ وظهر لأول مرة في دار الأوبرا فى رواية «حياة القيصر» بمدينة بتروجراد ١٨٩٤ ثم أخذ يتنقل فى جميع دور الأوبرا فى روسيا ، وكان ظهوره لأول مرة خارج روسيا فى لاسكالا دى ميلانو وتنقل بعد ذلك فى عواصم أوربا وأميركا وكانت أولى رواياته السينمائية رواية « دون كيشوت » وله عدة مؤلفات منها « صفحات من حياتى» و «الرجل والقناع » وكان يميل إلى الرسم والتصوير وصيد السمك

المطابع السارقة

إلى مجلة الرسالة الغراء

يرى الأستاذ المازنى أن « تنظيم النشر » فى مصر يكفى لازالة أسباب الشكوى التى يشكوها الكتاب والمؤلفون ، وأن هذا التنظيم وحده هو أعود عليهم بالربح والجدوى . وللأستاذ الحق فى هذا الرأى ، غير أن علة أخرى لم ينتبه إليها مع أنها من أكبر أسباب الغبن الذي أدرك الأدباء العرب فى هذا العصر

حدثنى أحد باعة الكتب فى الجزائر بأنه كان سافر إلى مصر ليقف بنفسه على طبع ثلاثة مخطوطات ، وتعاقد مع مطبعة كبيرة فى القاهرة . وشرعت هذه فى العمل ، وكان هو يتردد عليها صباح مساء . فلاحظ أنها تطبع ضعفى الكمية المطلوبة من النسخ ، فذكر لصاحب المطبعة ما رأى فاعتذر هذا بأن العامل هو الذى أخطأ ، وتمهد بإعدام النسخ الزائدة ، إلا إن كان حضرة العميل في حاجة إليها . فأكد له هذا أنه لا يريدها . ثم حدث للعميل ما حمله على زيارة مطبعة أخرى . ولم يكد يدخلها حتي استولت عليه الدهشة ، فقد رأى أكواماً من اللازم المطبوعة من نفس الكتاب الذى يقوم هو على طبعه ، وذلك لأن المطبعة الأولى بعد ما افتضح أمرها صارت كلما طبعت ملزمة نقلت الحروف مصفوفة مربوطة إلى هذه المطبعة الأخرى فتطبع فيها العدد المسروق .

قال الراوى : وقامت بيني وبين صاحب المطبعة الأولى خصومة حادة عنيفة كادت تنتهى إلى المحاكم . ولكنها سويت على صورة غريبة صرت بموجبها شريكا له فى السرقة ، فقد ناولنى كمية مهمة من الكتب القيمة التى طبعها أخيراً على نفقة أصحابها المؤلفين المشهورين . قال : « ومنذ ذلك اليوم أصبحت من عملائه الكثيرين المنتشرين فى كثير من البلدان العربية والإسلامية ... » قلت : « وهل كل هذا صحيح ... » قال : « نعم . وهنالك أصحاب مطابع أخرى ، وهنالك ناس ينسجون على هذا المنوال . وفى القاهرة رهط من الناس (ومنهم أصحاب مكتبات يحترفون ترويج الكتب المسروقة ووسقها إلى خارج القطر المصرى ... » .

لقد ارتبت لأول مرة فى صحة هذا الكلام وما لبثت أن استيقنت عند ما اطلعت على حوادث أخرى من هذا القبيل ؛ فقد عرض علينا ذات يوم أحد باعة الكتب فى فاس قائمة بأسماء كتب قيمة طبعت ولا يزال بعضها يطبع فى القاهرة (وهى بأقلام أئمة الأدب فى العصر الحديث) بأسعار مخفضة إلى حد غير معقول . فقلت لا يخلو الأمر من إحدى اثنتين: إما أن تكون هذه الكتب فى منتهى الرداءة طبعاً ، وورقاً أو أن عارضها قد ارتبكت أحواله المالية وأشرف على الافلاس فهو يبيعها بأي ثمن

ثم عرفت أنه لا هذه ولا تلك وإنما هذا الرجل هو أحد عملاء المطابع السارقة ... وكان أحد المتعهدين فى الجزائر

قد عرض مجلة الرسالة (التى يصدرها فى القاهرة الأستاذ الزيات) على صغار الباعة والمتعهدين بثمن بخس جـداً ... وتبين أنه كان يستوردها من مكتبة بالقاهرة لها صلة وثيقة بمطبعة سارقه كانت « الرسالة » تطبع فيها قبل أن تتخذ لنفسها مطبعة خاصة . وأكثر هؤلاء «العملاء» ينشرون الدعوة ضد مطبوعات «لجنة التأليف والترجمة والنشر» فى القاهرة . وسبب ذلك (فيما يظهر) هو أنهم لم يستطيعوا أن يسرقوها ... وهذه الأشياء فضلا عن كونها تؤذى سمعة مصر أذى شـديدا ، فهى ضربة قاضية على الحركة الأدبية فى مصر والعالم العربى . ونعتقد أنه لابد للحكومة المصرية أن تعالج هذه الحالة بما تراه ناجعاً . لكى تسير حركة النشر فى طريقها المشروع

«وهران» الوفاق محمد السعيد الزاهرى



السـينما فن وذوق
وليست أكاذيب وجهالة

أجازت الحكومة المصرية فى الشهر الماضى لشركة «راديو» الأمريكية أخذ فلم عن الحياة المصرية وتطوراتها من نوع الأفلام التى تخرجها هـذه الشركة بعنوان « دورة الزمن » The March of Time ولقد شهدنا عدة أفلام من هذا النوع نذكر منها فلماً جيلاً عن تركيا ؛ والرأى الذى استخلصناه بعد رؤية عدة حلقات من « دورة الزمن » أن هـذه الأفلام تقوم على أساس تاريخى صحيح وأنها ليست من نوع أفلام الدعاية الهزيلة أو من نوع الأشرطة الاخبارية العادية . على أننا نشفق مع ذلك أن تخطئ الشركة المصادر التى تستقى منها مادة الفلم أو أن تعتمد على ما تلفقه عادة الأفلام الأجنبية عن مصر وشعبها ؛ وكثيراً ما رأينا القوم يصوروننا قبائل رحلا فى بلد صحراوى تناثرت فيه بعض المدن المليئة بالمآذن والقباب ، وفيما عدا ذلك فرمال وجمال وخيام . فلعل أولى الأمر لا تفوتهم مباشرة هـذه الحقائق ومعالجتها بما يكفل لنا كرامتنا ولتاريخنا وقائعه الصحيحة

ولهذه المناسبة أذكر كثيراً من الأفلام التى مسخت الحوادث وشوهت من حقائق التاريخ فاساءت إلى بعض الشعوب . وأول ما يعنينا من هذه الأفلام فلم مصرى حديث الانتاج كان من شخصياته الرئيسية شخصية كسرى وقد أخرجت بشكل مزر غضب له إخواننا الايرانيون . وقد كتبت رأيى فى هذا الفلم فى العام الماضى من تقرير قدمته إلى لجنة تشجيع السينما بوزارة الداخلية طلبت فيه منع مثل هـذه الأفلام وهذا الفلم على الخصوص الذى حاول أصحابه أن يعرضوه على رغم حقارته بمعرض البندقية الدولى . وقد صادرت الحكومة هذا الفلم ولكنها مصادرة جاءت متأخرة

نقدم مثل هذه الاساءة إلى قطر صديق فى غير ضرورة يبيحها الفن أو الذوق أو حتى التقدير التجارى . وقبل عرض هذا الفلم بزمن قصير يحمل لنا البرق خبر شجار كبير حدث فى إحدى دور العرض بأمريكا الجنوبية بين جماعة من الأهالى وفريق من إخواننا السوريين المستوطنين هناك عند عرض شريط عن مصر قابله الأمريكيون بسخرية استفزت إخواننا السوريين فثاروا لكرامتنا وقابلوا المعتدين بالضرب

نسمع هذا فى الوقت الذى نقدم فيه هذا المثل غير اللائق لإيران

***

وطالما تولدت الأزمات المشابهة فى كثير من الأفلام ، ومن ذلك أن شركة براموت قد أخرجت فلماً عرض باسم « مات الجنرال فى الفجر » وفيه تحقير للشعب الصينى . فما أن علمت الحكومة الصينية بأمر هذا الفلم حتى بعثت للشركة إنذاراً بسحب

هذا الفلم من جميع أسواق العالم وإلا تحرم الحكومة الصينية عرض أى فلم فى المستقبل من إنتاج شركة برامونت . وقد انصاعت الشركة للأمر لأنها لا تستطيع أن تضحى بسوق كبيرة مثل الصين . وقد أخرجت نفس الشركة قبل ذلك فلماً آخر يسىء إلى أسبانيا بعنوان «الشيطان امرأة» مثلته مارلين ديتريش وشهده الجمهور المصرى فمنع عرض هذا الفلم بأسبانيا وأرسلت حكومتها احتجاجاً قابلته الشركة بالاعتذار والأسف

* * *

وهناك حكومات يقظة تنتبه إلى الأمور قبل وقوعها ، ومثل ذلك ما فعلته الحكومة التركية مع شركة مترو إذ أعلنت هذه أن من مشروعاتها الكبيرة إخراج فلم بعنوان « أيام موسى داغ الأربعون » وفى تصوير هذا التاريخ ما يجرح الشعور التركي ، فلما علمت الحكومة التركية بنية الشركة نصحتها بالعدول عن المشروع واستجابت الشركة فعلا للنصيحة ودفن المشروع

وقد كانت شركة (فوكس — القرن العشرون) قد انتوت إخراج سلسلة من الأفلام الشرطية على غرار أفلام « شارلى شان » الشرطى الصينى لبطل يابانى للأفلام الجديدة اسمه «موتو» وقد أخرجت الشركة بالفعل أول هذه الأفلام Think fast Mr. Moto ولم يعرض فى بلادنا بعد ، ومثل الشرطي اليابانى الممثل المعروف بيتر لور . وقد طلبت الحكومة اليابانية بعد إخراج هذا الفلم من الشركة المذكورة أن تطلعها على موضوع كل فلم من هذا النوع للموافقة عليه قبل البدء فى إخراجه . وقد أدى هذا التدخل إلى وقف سلسلة مستر موتو

الرأى الذى نخرج به أخيراً أن السينما كأى فن يجب أن يقوم على الحقائق . فاذا أهملت الحقيقة عن غير عمد فيجب على الأقل ألا يهمل الذوق . فاذا لم يراع هذا أو ذلك فقد فقدت السينما وظيفتها وفائدتها وأصبحت شيئاً يستحق المصادرة والمحاربة

محمد على ناصف

فى السينما

أخطار السينما

تثبت احصاءات شركات التأمين بالولايات المتحدة أن مبالغ التعويض التى دفعت فى العام الماضى ضد أخطار السينما تقل ٤٥٠٠٠ جنيه عنها فى عام ١٩٢٩ . ففى هذا العام بلغ عدد الاصابات ٧٧٠٠ إصابة وقف فى العام الماضى عند ٤٥٠ فقط .

ومع ازدياد الانتاج السينمائي وقطعه مراحل كبيرة كانت تعتبر من المعجزات وخاصة في إخراج حوادث الحرب وتصوير نكبات الطبيعة من زلازل وعواصف وسيول فان هذا الاحصاء يدل دلالة قاطعة على تقدم الصناعة وأمنها

ومن أشأم الحوادث فى تاريخ السينما موت المخرج كينث هوكس من تصادم طائرتين أثناء إخراجه فلم «رجال مجازفون» وكذلك الحوادث التى اقترنت ببعض الأفلام مثل : « ملائكة الجحيم » و « ثورة على السفينة بونتي » و « الطريق الخانق » و « الوريثة المتشردة » والفلم الأخير يعرض الآن بالقاهرة

وتعتبر الاحصاءات أن استديوهات شركة وارنر أكثر الأستديوهات أخطاراً وتتبعها شركة مترو جولدوين . وقد اعتبر إخراج فلم « فى شيكاغو القديمة » لشركة (فوكس — القرن العشرون) شيئاً يشبه المصادفة لعدم حدوث أى إصابة رغم تعدد حوادث الفلم من حريق وفيضان وثورة قطعان الماشية واجتياحها آلاف الخلائق ، أما أكثر الأفلام أخطاراً فهى أفلام رعاة الأبقار

فى المسرح

ايفور نوفيلو من أبرز شخصيات المسرح الانجليزى

انتقل ايفور نوفيلو بموسيقيته Crest of the Wave من مسرح درورى لين إلى تريتهام هيل لاجراء بعض الاصـلاحات بالدرورى قبل أن يفتتح فيه مسرحيته الجديده

ويعتبر نوڤيلو من أسعد رجال المسرح فى جميع العصور فهو فى الخامسة والأربعين من عمره يؤلف مسرحياته ويلحنها ويخرجها ثم يمثلها . ولا تزال فرقته منذ سنة ١٩٣٥ دائمة العمل فى موسيقياته الثلاث الأخيرة لا يقف عملها إلا فى الفترات التى بين مسرحية وأخرى ؛ ويقدر له العارفون أن روادمسرحه في هذه المدة بلغوا ١٬٧٥٠٬٠٠٠ وانه أحيا ٧٥٠ حفلة متوسـط دخل الحفلة الواحدة ٦٠٠ جنيه

وبعملية بسيطة يكون دخله فى هذه المدة ٤٥٠٬٠٠٠ جنيها دفع منها ضرائب فقط ٦٧٬٥٠٠ جنيه

***

تمثل الآن على مسارح برودواى مسرحية « النساء » وجميع شخصياتها نساء وقد رفض الرقيب الانجليزى تمثيلها على مسارح انجلترا إلا بعد تعديل منظر لفتيات مجتمعات فى قاعة نوم ولكن المؤلف رفض اجراء هذا التعديل .

***

يعتبر هـذا الموسم من أكسد مواسم التمثيل فى أمريكا ، ولذلك فان قيام مسرحية ناجحة وسط عدة مسرحيات فاشلة شىء يقابل بالضجة والتهليل ، وهــذا ما لقيته مسرحية Gm Borrowed Time التى اقتبسها للمسرح بول اوسبورن من رواية لورنس ادوارد اتكنس ومثل الدور الأول فيها بنجاح كبير دادلى دبجز الممثل المعروف فى السينما والمسرح

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدى رقم ٧